أحمد شـــوقى

شاعر الوطنية الأكبر

١٨٧٠ — ١٩٣٢

بلغ الشعر الوطنى ذروته على لسان شـوقى وحافظ ، فلقد حملا لواء النهضة الشعرية فى العصر الحديث ، وتغنيا بالوطنية ، وكان للحوادث الـكبرى التى وقعت فى مصر والشرق صداها فى شـعرهما ، وكلاهما كان له أثره وفضله فى تغذية الحركة الوطنية بعيون الشعر الوطنى ، سطع نجمهما فى عصر واحد ، وغردا فى جيل واحد ، وانتقلا إلى جوار ربهما فى عام واحد (١٩٣٢) ، ولم تمض على وفاة حافظ ثلاثة أشهر حتى لحق به شوقى فى الرفيق الأعلى .

سمى شوقى أمير الشعراء ، ولقب الأمير لم يعد يتفق والروح الديمقراطية ، ولم تعد الإمارة تضفى على صاحبها منزلة محترمة ، هذا إلى أن شوقى أكبر من أن يمجد بهذا اللقب ، فهل نسميه (سيد الشعراء) ؟ إن كلمة السيادة لغير الأمة لم تعد أيضا تتفق والأوضاع الديمقراطية ، فهل نسميه (زعيم الشعراء) ؟ إنه ولا ريب أقدر شعراء عصره ، ولم يكن ينازعه فى زعامة الشعر أحد من أنداده ومعاصريه ، فلقد عقدوا له لواء الزعامة و بايعوه عليها فى المهرجان الذى أقيم له بمصر سنة ١٩٢٧ وجمع أقطاب الشعراء من العالم العربى وخاطبه فيه صنوه حافظ بقوله :

أميرَ القوافى قد أتيتُ مبايعا ... وهذى وفود الشعر قد بايعت معى

على أن لقب (زعيم الشعراء) لا يكفى للتعريف به والتنويه بمكانته ، وخير لقب له أن يسمى (شاعر العربية الأكبر) وأن نسميه فى هذا الـكتاب (شاعر الوطنية الأكبر)

ولد أحمد شوقى فى ١٦ أكتوبر سـنة ١٨٧٠[١] ، وتعلم فى المدارس النظامية ، ودخل

---

(١) عن التاريخ الثابت فى شهادة الليسانس التى نالها الفقيد من كلية الحقوق بباريس .

مدرسة الإدارة (الحقوق) ، فى أوائل عهد الاحتلال . وفى سنة ١٨٨٧ سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق والأدب ، وأتم دراسته سنة ١٨٩٣ .

أدرك شوقى الاحتلال الإنجليزى وهو شاب مهذب مثقف ، وعرف كيف عصف الاحتلال باستقلال البلاد . وإذ كانت عبقريته الشعرية قد خلقت وولدت معه ولازمته منذ صباه ، فقد اقترنت بشعوره الوطنى الذى تولد فى نفسه بالفطرة ، وزاده توهجا ورسوخا رؤيته الاحتلال الأجنبى يجثم على صدر البلاد ، فامتزجت شاعريته بوطنيته ، وكان لمصر وآلامها صدى بعيد وأثر عميق فى شعره . وظل حبه للوطن يوجهه فى قصائده ويلهمه التغريد له والحنو عليه .

التحق منذ عودته إلى مصر بديوان المعية الخديوية ، وعلت مكانته لدى الخديو عباس الثانى حتى سمى (شاعر الأمير) ، لكن روحه الوطنية لم تتأثر كثيرا من صلته بالقصر ، هذا إلى أن الخديو عباس كان فى أول عهده بالعرش يناوىء الاحتلال ، والاحتلال يناوئه ، حتى إذا جنح لمهادنة الاستعمار ، لم يكن لهذا التحول أثر كبير فى شعر شوقى ، اللهم إلا هدأة وقتية فى الحرب المشبوبة بين الأمة والاحتلال ، على أن تأصل روح الوطنية فى نفسه جعله لا يجارى الخديو عباس فى انصرافه عن الحركة الوطنية ، ثم فى تنكره لها ، فبقى شعره ينهل من منبع الوطنية الصافى .

وانفصل عن منصبه فى القصر بعد خلع الخديو عباس عن العرش فى ديسمبر سنة ١٩١٤ وتحرر من المنصب الحكومى ، فزادته الحرية قوة وإنتاجا ، وتحليقا فى سماء الشعر والفن والخيال ، واستهدف لاضطهاد السلطة العسكرية البريطانية ، إذ قررت نفيه وتركت له اختيار البلد الذى ينفى إليه ، فاختار أسبانيا (الأندلس) ، وبقى على عهده للوطن ، ثم عاد من منفاه فى فبراير سنة ١٩٢٠ ، والبلاد فى غليان الثورة ، فاستقبلت مصر شاعرها الملهم استقبالا حافلا رائعا .

ويمتاز شعر شوقى بقوة البيان ، وروعة الموسيقى الشعرية ، وسعة الأفق ، والتعمق فى استيعاب الحوادث التاريخية ، قديمها وحديثها ، ولقد جارى فحول الشعراء المتقدمين ، وبزّهم فى كثير من قصائده ، وجدد بعض التجديد فى الشعر العربى بما اقتبسه عن شعراء الغرب ، وعن الثقافة الأوروبية ، وسار فى التجديد شوطا بعيدا وخاصة بعد عودته من المنفى ،

إذ وضع عدة مسرحيات شعرية بلغت مبلغا عظيما من الفن والموسيقى والجمال ، كمصرع كليوباترة ، ومجنون ليلى ، وعنترة ، وغيرها ، وظل ينتج ويشدو ويبدع ، إلى أن توفى فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ .

الوطنية فى شعر شوقى

فى قصائد شوقى يسطع نور الوطنية ، ويتأجج لهيبها ، وهو أغزر الشعراء مادة وأوسعهم إنتاجا فى هذه الناحية ، ولقد ظل يستلهم روح الوطنية طول حياته ، شابا وكهلا وشيخا ، بل إن شعره الوطنى فى شيخوخته كان أقوى منه فى شبابه ، وقد يكون مرجع ذلك إلى تجرده من الاتصال بالقصر بعد خلع الخديو عباس حلمى ، كما أسلفنا ، ثم إلى نفيه من مصر فى أوائل الحرب العالمية الأولى ، فآثار البعد عن الوطن شاعريته ، وجاد بأبدع قصائده فى الحنين إلى مصر وحبه لها والهيام بها إلى درجة التقديس ، ومرجع ذلك أيضا إلى تأصل عبقرية الشعر فى نفسه ، فلم تضعفها السن ، ولم يبل منها الزمن ، وظلت قوية تتدفق حيوية ونشاطا .

والوطنية فى شعر شوقى هى فيض الفطرة والإلهام ، وليست من صنع الظروف أو التكلف ، ولذلك جاءت قوية جارفة ، عميقة رائعة .

فتأمل فى أول قصيدة له فى ديوانه وهى التى قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد بمدينة جنيف عام ١٨٩٤ ومطلعها :

هَمَّتِ الفلكُ واحتواها الماء وحداها بمن تُقلّ الرِّجاء

تجدها آية فى شعر الملاحم أو الشعر التاريخى ، وتحس وأنت تقرؤها أنها قبس من نور الوطنية ، فهى سجل ناطق (لكبار الحوادث فى وادى النيل) ، وقد بلغ عدد أبياتها ثلثمائة بيت إلا قليلا (تسعين ومائتى بيت) ، عرض فيها عرضا أخاذا بديعا تاريخ مصر من أقدم العصور إلى عام نظمها ، أشاد بعظمتها ومجّد مفاخرها ، وحنى عليها فى كبواتها ، واستنزل السخط على كل من اعتدى عليها .

فانظر إلى قوله عن عظمة مصر :

قُلْ لبانٍ بنَى فشادَ فغالى لم يَجُزْ مصرَ فى الزمان بناء

ليس فى الممكنات أن تُنقَل الأَجْبال[1] شَمًّا وأن تُنَالَ السماء

ولما انتهى فى سرد الحوادث إلى الحملة الفرنسية سجل إخفاقها وارتدادها عن مصر . قال :

وأتى النسر[2] ينهب الأرض نهباً حوله قومه النسور ظِمَاء
يشتهى النيلَ أن يشيد عليه دولةً عرضُها الثرى والسماء
حَلُمتْ رومةُ بها فى الليالى ورآها القياصرُ الأقوياء
فأتت مصرَ رُسْلُهم تتوالى وترامت سودانَها العلماء
ولو استشهد الفرنسيسُ روما لأتَتْهُم من رومةَ الأنباء
علمتْ كلُّ دولة قد تولَّتْ أنها شُمُّها وأنّا الوباء
قاهرُ العصر والممالكِ نابليونُ ولَتْ قوادُه الكبراء
جاء طيشاً وراح طيشاً ومن قبلُ أطاشت أناسَها العلياء

وانظر كيف يصور فى البيتين الآتيين سكوت الأهرام وهى تواجه نابليون بأنه سكوت السخرية والاستهزاء وكأنها تتنبأ له بالهزيمة فى ختام معاركه ، قال :

سكتت عنه يوم عيَّرها الأهرام لكن سكوتها استهزاء
فهى تُوحِى إليه أن تلك (واتر لو) فأين الجيوش أين اللواء ؟

وتأمل كيف يعبر عن قناة السويس بأنها نكبة على مصر قال :

جمع[3] الزاخرين كَرْهاً فلا كا نا ولا كان ذلك الالتقاء
أحمرٌ عند أبيض للبرابا حِصَّةُ القُطْرِ منهما سوداء

والقصيدة كلها على هذا الغرار فى الإجادة والإبداع ، ولقد نظمها وهو فى الرابعة والعشرين ، وكأنما رسم فيها منهجه فى الشعر ، فهو يقتبس من عبقريته الشعرية ، ومن روحه الوطنية معا ، وقد لازمه هذا الامتزاج فى شتى قصائده .

---

(١) الأجبال : جمع جبل . (٢) يقصد نابليون .

(٣) الإشارة هنا إلى سعيد الذى منح دلسبس امتياز القناة ، ويريد بالزاخرين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر .

شوقى ومصطفى كامل

سارت نهضة الشعر فى مصر إلى جانب النهضة الوطنية التى هبت لمقاومة الاحتلال ، ومن هنا جاءت صلة الزعيم مصطفى كامل بشعراء عصره ، وكانت دعوته الوطنية تلقى صدى وتأييدا فى قصائدهم الغرّ ، بحيث يمكن القول بأن الشعر لم يتألق فى سماء مجده مثلما تألق فى عهد مصطفى كامل ومحمد فريد .

وقد ظهر التجاوب بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقى ، وزاد فى هذا التجاوب أن شوقى كان صديقا حميما لمصطفى ، وكلاهما معجب بصاحبه أيما إعجاب ، ولا غرو فهما صنوان ، وفرسا رهان ، هذا فى ميدان الوطنية والجهاد ، وذلك فى دولة الشعر والبيان ، وكان شوقى يعتز بصداقته لمصطفى ومشاركته إياه فى تعهده الروح الوطنية وغرسها فى نفوس الجيل ؛ و إلى ذلك يشير فى قصيدته عن ذكرى مصطفى سنة ١٩٢٥ إذ يقول فيها مخاطبا الفقيد :

أَتَذْكُرُ قبلَ هذا الجيل جيلا سهرنا عن معلِّمهم وناما ؟
مِهار الحـــقِّ بغَّضْنا إليهم شكيمَ القيصريَّةِ واللجاما[1]
(لواؤكَ) كان يَسقيهم بجامٍ وكان الشعرُ بين يدىَّ جاما
من الوطنيـةِ استَبقوا رحيقاً فضَضْنا عن مُعتَّقِها الختاما

وكان مصطفى يصف شوقى بأنه « الغدير الصافى فى القاف الغاب ، يسقى الأرض ولا يبصره الناظرون » ؛ وكان يخصص لقصائدة أسمى مكان فى (اللواء) ؛ وفى ذلك يقول شوقى فى مرثاته الخالدة :

قد كنتَ تهتف فى الورى بقصائدى وتجـــلّ فوق النيّرين مكانى

وزاره وهو على فراش مرضه الأخير ، فطلب إليه مصطفى أن يرثيه إذ أحس بدنو أجله ؛ وفى ذلك يقول شوقى :

وجعلتَ تسألنى الرثاء فهاكه من أدمعى وسرائرى وجنانى

و يبدو الانسجام بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقى فى كثير من قصائده .

---

(١) مهار : جمع مهر ، والمراد بالمهار هنا الشباب ، والمراد بشكيم القيصرية ولجامها : بطش الاحتلال وجبروته .

قصيدة شوقى فى وداع اللورد كرومر

فمن ذلك قصيدته المشهورة فى وداع اللورد كرومر سنة ١٩٠٧ حين اضطر إلى الاستقالة على أثر حادثة دنشواى ، ففى أبياتها تتجلى الروح الوطنية والنقمة على الاحتلال ، قال :

أيامُكم أم عهد إسماعيـــلا ... أم أنت فرعونٌ يسوس النيلا ؟
أم حاكمٌ فى أرض مصر بأمره ... لا سائلا أبداً ولا مسئـــولا
يا مالكاً رقّ الرقاب ببأسه ... هلاّ اتخذت إلى القلوب سبيلا ؟
لما رحلتَ عن البلاد تشهّدت ... فكأنك الداء العياء رحيـــلا
أوسَعْتنـــا يومَ الوداع إهانةً ... أدبٌ لعمرك لا يصيبُ مثيلا[1]

إلى أن قال :

أنذرتنـــا رقاً يدوم وذِلةً ... تبقى وحالا لا ترى تحويـــلا
أَحَسِبتَ أن الله دونك قدرةً ... لا يملك التغيير والتبـديلا ؟
الله يحكم فى الملوك ولم تـكن ... دولٌ تنازعـــه القوى لتدولا
فرعونُ قبلك كان أعظمَ سطوةً ... وأعزّ بين العالمين قبيـــلا

* * *

اليومَ أخلفت الوعودَ حكومةٌ ... كنا نظن عهودَها الإنجيلا
دخلتْ على حكم الوداد وشَرعه ... مصراً فكانت كالسلال دخولا
هدمت معالمَها وهدّت ركنها ... وأضاعت استقـــلالها المأمولا

وقال :

قد مدَّ إسماعيل قبلك للورى ... ظلَّ الحضارة فى البلاد ظليلا
إن قيس فى جود وفى سرف إلى ... ما تنفقون اليوم عُدَّ بخيـــلا
أو كان قد صرع (المفتشَ) مرةً ... فلـكم صرعتَ بدنشواى قتيلا
كرلا تذ الـكرباج فى أيامه ... من بعد ما أنبتَّ فيـــه ذيولا

---

(١) يشير إلى خطبة اللورد كرومر فى الحفلة التى أقامها صنائع الاحتلال بدار الأوبرا تكريماً له وأهان فيها المصريين .

قصيدته فى ذكرى دنشواى

وقصيدته سنة ١٩٠٧ أيضاً عن (ذكرى دنشواى) ، بعد مرور عام على حادثتها ، فى سبيل طلب العفو عن سجنائها ، وفيها وصف مؤثر لهذه المأساة .

قال :

يا دِنشواىَ على رُباكِ سلامُ ... ذهبت بأُنسِ رُبوعِكِ الأيامُ
شهداءُ حُكمكِ[1] فى البلادِ تفرقوا ... هيهاتَ للشملِ الشتيتِ نظام
مرَّت عليهم فى اللّحود أهلَّة ... ومضَى عليهم فى القيودِ العام
كيف الأراملُ فيكِ بعد رجالِها ... وبأىِّ حالٍ أصبحَ الأيتام ؟
عشرون بيتاً أقفرتْ وانتابَها ... بعد البشاشةِ وحشة وظلام
يا ليتَ شعرى فى البروجِ حمائمٌ ... أم فى البروجِ منيةٌ وحِمام ؟
(نيرونُ) لو أدركتَ عهدَ (كرومرٍ) ... لعرفتَ كيفَ تنفذ الأحكام !

* * *

نوحى حمائمَ دنشواىَ وروِّعى ... شعباً بوادى النيلِ ليس ينام
إن نامت الأحياء حالتْ بينَه ... سَحَراً وبين فراشِه الأحلام
متوجعٌ يتمثلُ اليومَ الذى ... ضجتْ لشدةِ هوله الأقوام
السوطُ يعملُ والمشانقُ أربعٌ ... متوحداتٌ والجنودُ قيام
والمستشارُ[2] إلى الفظائع ناظرٌ ... تدمى جلودٌ حولَه وعِظام
فى كلِّ ناحيةٍ وكلِّ محلةٍ ... جزعاً من الملأ الأسيفِ زِحام
وعلى وجوهِ الثاكلين كآبة ... وعلى وجوهِ الثاكلاتِ رَغام

رثاؤه لمصطفى كامل

ولما توفى مصطفى كامل سنة ١٩٠٨ رثاه شوقى بقصيدته الخالدة التى تعد أكبر مرثاة فى تاريخ الأدب العربى ، ترجم فيها عن شعوره بالحزن والألم بآيات بينات تجلت فيها حكمة

---

(١) أى حكم المحكمة المخصوصة فى قضية دنشواى .
(٢) يريد الكبتن متشل مستشار وزارة الداخلية وكان يشرف على تنفيذ الحكم .

الشعر وقوة الوطنية وروعة البيان ، وقد نشرت يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨ عقب وفاة الزعيم بثلاثة عشر يوما ، فأثرت فى النفوس تأثيراً عميقاً . وجددت أحزان الأمة ، وحفظناها وحفظها الشباب وقتئذ عن ظهر قلب ، لأنها عبرت عن شعورنا جميعاً فى الرزء الفادح ، ننشرها كاملة لأنها قطعة من الشعر الوطنى الخالد . قال فى مطلعها :

المشرقانِ عليـــك ينتحبانِ ... قاصيهمـــا فى مأتم والدانى
يا خادمَ الإسـلام أجر مجاهد ... فى الله من خلد ومن رضوان
لما نعيتَ إلى الحجاز مشى الأسى ... فى الزائرين ورُوِّع الحرمان
السكة الـكبرى[1] حيال رباها ... منكوسة الأعـــلام والقضبان
لم تألها عنـــد الشدائد خدمةً ... فى الله والمختـــار والسلطان
يا ليت مكة والمـــدينة فازتا ... فى المحفلين بصوتك الرنان
ليرى الأواخر يومَ ذاك ويسمعوا ... ماغاب من قس ومن سحبان[2]
جار التراب وأنت أكرم راحل ... ماذا لقيتَ من الوجود الفانى ؟

وقال عن مرضه الذى أودى بحياته :

أبكى صباك ولا أعاتب من جنى ... هـــذا عليه كرامةً للجانى[3]
يتساءلون أبا لسـلال قضيت أم ... بالقلب أم هل مت بالسرطان
الله يشهـد أن موتك بالحجا ... والجـــد والإقدام والعرفان

وقال يشيد بأخلاق الفقيد :

إن كان للأخلاق ركن قائم ... فى هـذه الدنيا فأنت البانى
بالله فتِّش عن فؤادك فى الثرى ... هـل فيه آمالٌ وفيه أمانى
وجدانُكَ الحىّ المقيم على المدى ... ولَرُبَّ حىٍّ ميّتِ الوجـدان

وقال فى فلسفة الحياة :

الناسُ جارٍ فى الحيـــاة لغاية ... ومضلَّل يجرى لغـــير عنان
والخلدُ فى الدنيا وليس بهيِّنٍ ... عليا المراتب لم تُتَحْ لجبان

---

(١) يريد سكة حديد الحجاز (٢) قس وسحبان خطيبان من أبلغ خطباء العرب .
(٣) الجانى إشارة إلى مصطفى كامل ، أى أنه ضحى بحياته وشبابه فى سبيل مصر .

فلو أن رسلَ الله قد جبنوا لما ... ماتوا على دين ولا إيمـــان
المجـد والشرف الرفيع صحيفة ... جُعلت لهـا الأخلاق كالعنوان

وأحبُّ من طول الحيـاة بذلة ... قِصَرٌ يريك تقاصرَ الأقران
دقّاتُ قلب المـــرء قائلةٌ له ... إن الحيـــاة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمرٌ ثانى
للمرء فى الدنيا وجم شؤونها ... ما شاء من ربح ومن خسران
فهى القضاء لراغب متطلع ... وهى المضيق لمؤثر السلوان

***

الناس غادٍ فى الشقاوة رائحٌ ... يشقى له الرحماء وهو الهـانى
ومنعَّم لم يلـــق إلاَّ لذة ... فى طيها شَجَنٌ من الأشجان
فاصبر على نُعْمَى الحياة و بؤسها ... نعمى الحياة و بؤسها سـيان

وقال مخاطبا الزعيم :

يا طاهرَ الغدوات والرَّوحات والـــخطرات والإسرارِ والإعلان
هل قام قبلك فى المدائن فاتح ... غازٍ بغير مُهَنَّد وسـنان ؟
يدعو إلى العلم الشريف وعنده ... أن العـــلوم دعائم العمران

وقال فى وصف الجنازة :

لَفّوك فى عَلَمِ البـــلاد منكّساً ... جزَع الهلالُ على فتى الفتيان
ما احمرّ من خجل ولا من ريبة ... لـكنما يبكى بدمْع قانى[1]
يُزجُون نعشك فى السناء وفى السنا ... فكأنما فى نعشك القمران
وكأنه نعش (الحسين) «بكربلا» ... يختال بين بكى و بين حنان
فى ذمة الله الـكريم وبره ... ما ضم من عرف ومن إحسان
ومشى جلال الموت وهو حقيقة ... وجلالك المصـدوق يلتقيان

***

(١) قانى : أحمر .

شَقّت لمنظرك الجيوبَ عقائلٌ ... وبَكَتكَ بالدمع الهتونِ غوانى
والخلْقُ حولك خاشعون كعهدهم ... إذ ينصتون لخطبة و بيان
يتساءلون بأى قلب تُرْتَقى ... بعدُ المنابرُ أم بأى لسان
فلو انّ أوطاناً تُصَوَّر هيكلا ... دَفنوك بين جوانح الأوطان
أو كان يُحْمَل فى الجوارح ميت ... حملوك فى الأسماع والأجفان
أو صيغ من غُرّ الفضائل والعُلى ... كَفَنٌ لبست أحاسن الأكفان
أو كان للذكر الحكيم بقية ... لم تأت بعدُ رُثيتَ فى القرآن

وقال يصف الفقيد فى مرضه الأخير :

ولقد نظرتك والردى بك محدق ... والداء ملء معالم الجثمان
يبغى ويَطْغَى والطبيب مضلل ... قَنِطٌ وساعات الرحيل دوانى
وتَواظرُ العُواد عنك أمالها ... دمعٌ تعالج كتمَه وتعانى
تُملى وتكتب والمشاغل جمة ... ويداك فى القرطاس ترتجفان
فهشَشْتَ لى حتى كأنك عائدى ... وأنا الذى هدّ السقام كيانى
ورأيتُ كيف تموت آساد الشَّرى ... وعرفتُ كيف مصارع الشجعان
ووجدتُ فى ذاك الخيال عزاءَنا ... ما للمنون بدكّهن يدان

***

وجعلتَ تسألنى الرثاء فهاكه ... من أدمعى وسرائرى وجنانى
لولا مغالبة الشجون لخاطرِى ... لنظمتُ فيك يتيمة الأزمان
وأنا الذى أرثى الشموس إذا هوت ... فتعود سيرَتها من الدوران

***

قد كنتَ تهتف فى الورى بقصائدى ... وتُجلُّ فوق النيرات مكانى
ماذا دهانى يوم بِنْتَ فعقّنى ... فيك القريضُ وخانتنى إمكانى
هوِّنْ عليك فلا شمات بميت ... إن المنية غاية الإنسان
من للحسود بميتة بُلّغتها ... عزّت على كِسرى أنوشروان

عوفيت من حَرَب الحياة وحرْبها فهل استرحت أم استراح الشانى

وقال فى ختام القصيدة يذكر فضل مصطفى على مصر :

يا صَبَّ مصر ويا شهيدَ غرامها هـــذا ثرى مصرٍ فنم بأمان

إخلع على مصر شبابك غالياً والبس شباب الحور والولدان
فلعل مصراً من شبابك ترتدى مجداً تتيه به على البـــلدان
فلو ان بالهرمين من عَزَماته بعض المضاء تحرّك الهرمان
علّمت شبان المدائن والقرى كيف الحيـاة تكون فى الشبان
مصر الأسيفة ريفها وصعيدها قبرٌ أبرُّ على عِظامِك حانى
أقسمتُ أنك فى التراب طهارةٌ مَلَكٌ يهـاب سؤاله المَلَـكان

شهيد الحق

وكان شوقى لا يفتأ يذكر مصطفى بعد وفاته

فمن ذلك قصيدته التى نظمها سنة ١٩٢٥ لمناسبة ذكراه بعنوان (شهيد الحق) ، تناول فيها ما أصاب البلاد من انقسام وتشاحن وتناحر ، ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى مصطفى كامل ، فوفاه حقه من التمجيد ، قال فى مطلعها :

إلامَ الخلْفُ بينكمو إلاما ؟ وهذه الضجةُ الكبرى علاما ؟
وفيمَ يكيـد بعضكمُ لبعضٍ وتُبدون العـداوة والخصاما ؟
وأين الفوز ؟ لا مصر استقرت على حالٍ ولا السودان داما

إلى أن قال :

وَلِينا الأمرَ حزباً بعـد حزب فلم نَكُ مصلحين ولا كراما

جعلنا الحكم توليـةً وعَزْلا ولم نَعْدُ الجـزاء والانتقاما
وسُسْنا الأمر حين خلا إلينا بأهواء النفوس فما اسـتقاما

وقال ذاكراً مناقب الفقيد :

شهيـدَ الحق قم تَره يتيما بأرض ضُيِّعتْ فيها اليتامى

أقام على الشفاه بها غريباً ... ومرّ على القلوب فما أقاما[1]
سقيتَ فلم تَبِت نفسٌ بخير ... كأن بهجة الوطن السقاما
ولم أر مثل نعشك إذ تهادى ... فغطّى الأرض وانتظم الأناما
تحمّلَ همّةً وأقلّ دِيناً ... وضمّ مروءةً وحوى زماما
وما أنساك فى العشرين لما ... طلعتَ حيالها قمراً تماماً
يُشارُ إليك فى النادى وتُرمَى ... بعينى من أحب ومن تعامى
إذا جئتَ المنابر كنت (قساً) ... إذا هو فى عكاظَ عَلا السناما
وأنت ألذُّ للحق اهتزازاً ... وألطف حين تنطقه ابتساما
وتحمل من أديم الحق وجهاً ... صراحاً ليس يتخذ اللثاما

***

أتذكرُ قبل هذا الجيل جيلاً ... سهرنا عن معلّمهم وناما ؟
مهارُ الحق بغّضْنا إليهم ... شكيمَ القيصرية واللجاما
لواؤك كان يسقيهم بجام ... وكان الشعر بين يدىّ جاما
من الوطنية استبقوا رحيقاً ... فضضْنا عن معتّقها الختاما
غرسنا كرمها فزكا أصولا ... بكل قرارة وزكا مُداما
جمعتهمو على نبرات صوت ... كنفخ الصّور حركت الرجاما[2]
لكَ الخطبُ التى غص الأعادى ... بسوْرتها وساغت للنّدامى[3]
فكانت فى مرارتها زئيراً ... وكانت فى حلاوتها بغاما[4]

***

بكَ الوطنية اعتدلت وكانت ... حديثاً من خرافةَ أو مناما
بنيتَ قضية الأوطان منها ... وصيّرتَ (الجلاء) لها دِعاما

---

(١) أى أن الحق تنطق به الأفواه ولا يستقر فى القلوب
(٢) الرجام : القبور .
(٣) السورة : الحدة والشدة . والندامى جمع نديم والمراد بهم الأنصار والأصدقاء .
(٤) البغام : صوت الظبى .

وله قصيدة فى ذكراه سنة ١٩٢٦ قال :

لم يَمُت من له أثرْ وحيـــاةٌ من السِّيرْ
أدعـــه غائباً وإن بعـــدت غاية السفرْ
آيب الفضـــل كلما آبت الشمس والقمر(١)
ربَّ نورٍ مُتمِّم قد أتانا من الحفَر
إنمـــا الميْت من مشى ميِّتَ الخبْر والخـبر
من إذا عاش لم يُفِد وإذا مات لم يضر
ليس فى الجاه والغنى منـــه ظلٌّ ولا ثمر
قَبُحَ العـزُّ فى القصـ ـور إذا ذَلَّت القُصُر

* * *

أعْـــوزَ الحقّ ذائدْ وإلى (مصطفى) افتقر
وتمنّت حِياضـــه هبّـةَ الصارم الذكر
الذى يُنفذ المُـــدى والذى يركب الخطـر
أيهـــا القوم عظِّموا واضع الأسّ والحجر

أذكروا الخُطبـةَ التى هى من آيه الكبر
لم ير الناس قبلها منـــبراً تحت محتضر
لستُ أنسى لواءَه وهو يمشى إلى الظفّر
حَشَرَ الناسَ تحتَه زُمَراً إثْرُهـــا زمر
وترى الحـــقَّ حولَه لا ترى البيضَ والسُّمر(٢)
كلمـــا راح أو غدا نفخ الروح فى الصور

* * *

يا أخا النَّفْس فى الصبا لذةُ الروح فى الصِّغَر

(١) أى يعود للفقيد فضل وتتجدد ذكراه كلما آبت الشمس وعاد القمر .
(٢) البيض : السيوف والسمر الرماح .

وخليـــــلا ذَخَرتُه لم يُقَوَّم بمدّخـــــر
حال بيني وبينـــــه في فُجاءاته القـــــدَر
كيف أجزِي مودّةً لم يَشُبْ صفوها كدر
غـــــيرَ دمع أقوله قَلَّ في الشأن أو كثُر
وفؤادٍ معلَّـــــلٍ بالخيـــــالات والذكر
لم ينم عنك ســـــاعةً في الأحاديث والسَّمر
قم تر القومَ كتلة مثـــل مَلْمومة الصخر
جدّدوا أُلفةَ الهـــــوى والإخاء الذي شطِـــر
ليس للخُلف بينهم أو لأســـبابه أثر
ألّفتهـــــم روائحٌ غادياتٌ من الغِـــــير
وصَحوا من منـــــوّم وأفاقوا من الخَدر[1]
أقبـــــلوا نحو حَقِّهم ما لهم غـــــيره وطر
جعَـــــلوه خليّـــةً شرعوا دونها الإبر
وتواصَـــــوْا بخطّةٍ وتداعـــــوا لمؤتمر
وقصارى أولى النهى يتـــلاقَون في الفكر
آذنونا بمـــــوقفٍ من جلال ومن خطر
نسمع الليثَ عنـــــده دون آجامـــــه زأر
قـــل لهم في نديّهم[2] مصر بالباب تَنتظر

شوقي وفريد

لم تكن صلة شوقي بفريد كصلته بمصطفى ، وعند ما تولى فريد زعامة الحركة الوطنية سنة ١٩٠٨ ، بعد وفاة الزعيم الأول ، كانت سياسة (الوفاق) بين الخديوي عباس الثاني والمعتمد البريطاني قد ثبتت قواعدها ، وتنكر عباس للحركة الوطنية ، ومع صلة شوقي

---

(١) الخدر الكسل .
(٢) يريد البرلمان .

بالقصر واشتداد الجفاء بين الخديو وفريد ، فإنه لم يتعرض له بسوء فى أى قصيدة له ، وكان هذا منه نعم الوفاء للوطنية .

وبدا حب شوقى للحزب الوطنى وتأييده له من رثاه لعمر بك لطفى أحد أقطاب هذا الحزب ومؤسس التعاون فى مصر ، فقد نظم سنة ١٩١١ فى رثائه قصيدة بديعة قال فى مطلعها :

قِفُوا بالقُبُـــــور نُسائلْ عمرْ متى كانت الأرضُ مَثْوَى القمرْ ؟

وفيها يقول :

« نِقَابَاتُكَ » الغُرُّ تبكى عليـكَ ويبكى عليك النَّـدىُّ الأغرّ[1]
ويبكى التعاونُ من سَنَّهُ عشـــــيَّة ليس له من أثر
ويبكيـكَ (حِزبٌ) تخيَّرتَه شريفُ المَرَامِ شريفُ الوطَر
ويبكى الأولَى أنت عَلَّمْتَهُمْ وأنت غرستَ فكانوا الثمر

رثاؤه لفريد

ولما توفى فريد سنة ١٩١٩ رثاه بقصيدة من عيون شعره ، ظهر فيها تقديره للزعيم الشهيد ، قال :

كلُّ حَىٍّ على المنيـــــة غادى تتوالى الركابُ والموتُ حادى[2]
ذهبَ الأوَّلون قَرْنًا فقرنًا لم يَدُم حاضرٌ ولم يَبق بادى[3]
هل تَرى منهمو وتسمعُ عنهم غـــــير باقى مآثرٍ وأيادى ؟

* * *

كُرَةَ الأرض كم رَمَتْ صولجانا وطَوَتْ من ملاعب وجياد
والغُبارُ الذى على صفْحَتَيْها دَورانُ الرحى على الأجساد
كلُّ قبرٍ من جانب القفر يبدو عـــلَمَ الحق أو منار المعَاد

---

(١) نادى المدارس العليا وكان عمر لطفى رئيسه .
(٢) الحادى هو الذى يغنى للقافلة فتنشط فى سيرها .
(٣) الحاضر ساكن الحضر ، والبادى ساكن البادية .

وزمام الركاب من كلِّ فَجٍّ ومحطُّ الرِّحالِ من كل وادى
تطلع الشمسُ حيث تطلع نضجاً وتَنحَّى كمِنْجَل الحصَّاد

إلى أن قال :

أسألتم حقيبةَ الموت ماذا تحتها من ذَخيرةٍ وعتاد ؟
إن فى طيها إمامَ صُفوف وحوارىَّ نِيَّةٍ واعتقاد

لو تركتم لها الزمام لجاءت وحدَها بالشهيد دارَ الرشاد
انظروا هل ترَوْن فى الجمع (مصرا) حاسراً قد تجلَّلت بسواد
تاجُ أحرارها غُلاماً وكهلاً راعها أن تراه فى الأصفاد
وسدُّوه التراب نِضْوَ سِفارٍ فى سبيل الحقوق نِضو سُهاد
واركِزوه إلى القيامة رُمْحاً كان للحشد والنَّدى والطِّراد
وأَقِرُّوه فى الصفائح عَضْباً لم يَدِنْ بالقرار فى الأغماد

وقال مشيرا إلى موته فى منفاه :

نازحَ الدار أقصرَ اليومَ بَيْنٌ وانتهت محنةٌ وكفَّت عوادى
وكفى الموت ما تخاف وترجو وشفى من أصادقٍ وأعادى
من دنا أو نأى فإن المنايا غايةُ القرب أو قُصارى البُعاد
سِرْ مع العمر حيث شئت تؤوبا وافقد العمر لا تؤبْ من رُقاد
ذلك الحقُّ لا الذى زعمُوه فى قديمٍ من الحديث مُعاد
وجرى لفظُه على ألْسُن النا س ومعناه فى صدور الصِّعاد
يتحلَّى به القوىُّ ولكن كتحلِّى القتالِ باسم الجهاد

* * *

هل ترى كالتراب أحسنَ عدلا وقياما على حقوق العباد
نزل الأقوياء فيه على الضَّعفَى وحلَّ الملوكُ بالزُّهاد
صفحاتٌ نقيةٌ كقلوب الرسل مغسولة من الأحقاد

* * *

قم إن اسْطعت من سريرك وانظر ـ سِرَّ ذاك اللواء فى الأجناد
هل تراهم وأنت موفٍ عليهم غير بُنيان ألفة واتحاد
أمةٌ هيئت وقومٌ لخير الدهر أو شرِّه على استعداد
مصرُ تبكى عليكَ فى كل خِدرٍ وتصوغُ الرثاء فى كل ناد
لو تأملتها لراعك منها غُرَّةُ البِرِّ فى سواد الحداد
منتهى ما به البلادُ تُعزَّى رجلٌ مات فى سبيل البلاد
أمَّهاتٌ لا تحمل الثُّكل إلَّا للنجيب الجرىء فى الأولاد
(كفريدٍ) وأين ثانى فريدٍ أىُّ ثانٍ لواحد الآحاد ؟

الرئيسِ الجوادِ فيما علمنا وبلونا وابنِ الرئيس الجواد
أكَلَتْ مالَه الحقوقُ وأبلى جسمَه عائدٌ من الهم عادى
لك فى ذلك الضّنى رِقَّةُ الرُّو ح وخَفْقُ الفؤاد فى العُوَّاد
علَّةٌ لم تَصِل فراشَكَ حتى وَطِئتْ فى القلوب والأكباد
صادفت قرحة يلائمها الصبر وتأبى عليه غيرَ الفساد
وَعَدَ الدهرُ أن يكون ضِمادا لك فيها فكان شر ضماد
وإذا الروح لم تنفّسْ عن الجِسْم (فبقراط[1]) نافخٌ فى رَماد

قصيدته فى ذكراه

وفى سنة ١٩٢٤ نظم قصيدة فى ذكراه الخامسة ، وهى من أبلغ شعره ومن أروع ما قيل فى تمجيد فريد ووطنيته وتضحياته ، قال :

نُجدِّد ذكرى عهدكم ونعيدُ ونُدْنى خيالَ الأمس وهو بعيدُ
وللناس فى الماضى بصائرُ يهتدى عليهن غاوٍ أو يسير رشيد
إذا الميْت لم يكرُم بأرض ثناؤه تحيَّر فيها الحىّ كيف يسود
ونحن قضاة الحق نرعى قديمه وإن لم يفتنا فى الحقوق جديد

(١) بقراط هو أبو الطب .

ونعلم أنا فى البناء دعائم ... وأنتم أساسٌ فى البناء وطيد
فريدٌ ضحايانا كثيرٌ وإنما ... مجال الضحايا أنت فيه فريد
فما خَلْفَ ما كابدتَ فى الحق غايةٌ ... ولا فوق ما قاسيت فيه مزيدُ
تغرَّبتَ عشراً أنت فيهن بائسٌ ... وأنت بآفاق البلاد شريد
تجوع ببلدان وتَعرَى بغيرها ... وترزح تحت الداء وهو عتيد
ألا فى سبيل الله والحقِّ طارفٌ ... من المال لم تبخل به وتليد
وَجُودك بعد المال بالنفس صابرا ... إذا جزع المحضور وهو يجود

* * *

فلا زلتِ تمثالا من الحق خالصاً ... على سِرِّه نبنى العلا ونشيد
يعلِّم نشءَ الحىّ كيف هو الحمى ... وكيف يحامى دونه ويذود

حبه وتقديسه للوطن

إن حب شوقى للوطن يتمشى فى معظم قصائده ، مما تراه فى ديوانه ، وقد اقتبسنا طرفا منها ، وله فوق ذلك أبيات بلغ فيها حبه للوطن درجة التقديس والعبادة ، مما يجعلها تسير مسرى الحكم والأمثال ، على تعاقب السنين والأجيال ، وتبعث فى نفوس المواطنين روح الإخلاص العميق للوطن والفناء فيه .

كقوله سنة ١٩٢٠ بعد عودته إلى مصر من منفاه :

ويا وطنى لقيتُك بعد يأسٍ ... كأنى قد لقيتُ بك الشبابا
ولو أنى دُعيتُ[1] لكنتَ دينى ... عليه أقابل الحتْم المجابا[2]
أدير إليك قبل البَيْت وجهى ... إذا فُهتُ الشهادةَ والمتابا

فى هذه الأبيات يقدم شوقى الوطن على الدين ويدير وجهه إلى الوطن قبل الكعبة عند ما يلقى ربه .

---

(١) أى دعيت إلى الموت .
(٢) الحتم المجاب هو الموت .

وقوله سنة ١٩٢٤ مخاطبا الشباب :

وَجْهُ الكنانة ليس يُغضب ربَّكم ... أن تجعلوه كوجهه معبودا
ولّوا إليه فى الدروس وجوهكم ... وإذا فرغتم . فاعبدوه هجودا
إن الذى قَسمَ البلادَ حباكمو ... بلداً كأوطان النجوم مجيدا
قد كان — والدنيا لُحودٌ كلها — ... المعبقرية والفنون مُهودا

وقوله وهو فى منفاه :

وطنى لو شغلتُ بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

أى أنه لو شغل عن الوطن بجنة الخلد وسكنها ، لبقيت نفسه تهفو إلى الوطن وتنزع إليه

وقوله من قصيدته سنة ١٩٢٦ فى نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسى :

وللأوطان فى دَم كل حُرٍّ ... يدٌ سَلَفَتْ ودينٌ مستحقُّ
وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرَّجةٍ تُدقّ

وقوله :

لا تلوماها أليست حرة ... وهوى الأوطان للأحرار دين

وقال سنة ١٩٠٤ :

أحبك مصر من أعماق قلبى ... وحبك فى صميم القلب نام

و بلغ حبه لمصر أن جعلها كعبة أشعاره قال :

و إنى لَغِرِّيد هذا البطاح ... تَغذّى جَناها وسلسالَها
تَرَى مصرَ كعبةَ أشعاره ... وكلٌّ معلقة قالَها

ثورة سنة ١٩١٩

قال من قصيدة له بعنوان (الحرية الحمراء) يمجد ثورة ١٩١٩ :

يومُ البطولة لو شهدتُ نهارَه ... لنظمتُ للأجْيال ما لم يُنْظَمِ
غُيِّبَتْ حقيقتُه وفات جمالُها ... باعَ الخيالِ العبقرىّ الملهَمِ
لولا عوادى النفى أو عقبانه ... والنفىُ حالٌ من عذاب جهنم

لجمعتُ ألوانَ الحوادث صورةً[1] مثّلْت فيها صورة المستسلم
وحكيتُ فيها النيلَ كاظمَ غيظه وحكيتُه متغيِّظًا لم يكظم
دَعَت البلادَ إلى الغمار فغامرت وطنيةٌ بمثقف ومعلّم
ثارت على الحامى العتيد وأقسمت بسواه جَلَّ جلالُه لا تحتمى

***

يومَ النضالِ كَسَتْكَ لونَ جمالها حُرِّيةٌ صَبَغتْ أديمَك بالدم

تعلقه بالجلاء

ويبدو فى شعره مبلغ تعلقه بالجلاء ، وإيمانه به ، وهـذا ولا ريب من فيض الوطنية التى يستلهم منها شعره .

قال فى سنة ١٩٢٤ يخاطب الشباب الذين أفرج عنهم بعـد الحـكم عليهم فى قضية المؤامرة الـكبرى :

لمّا بَنَى اللهُ القضيةَ[2] منهمو قامت على الحقِّ المبينِ عَمُودا
جادوا بأيام الشبابِ وأوشَـكوا يتجاوزون إلى الحيـاةِ الجودا
طلبوا (الجلاءَ) على الجهادِ مَثُوبةً لم يطلبوا أجْرَ الجهاد زهيدا
واللهِ : ما دون الجلاءِ ويومِهِ يومٌ تُسمِّيه الـكِنانةُ عيـدا

وَجَد السجينُ يداً تُحطِّمُ قَيْدَهُ من ذا يُحطِّمُ للبلاد قيوداً ؟

وحدة وادى النيل

وقال فى يوليه سنة ١٩٢٤ عن وحدة وادى النيل من قصيدة له فى استنكار حادث الاعتداء على المرحوم سعد زغلول ونجاته من محاولة اغتياله :

ولن نرتضى أن تُقدَّ القنـاةُ ويُبْتَرَ من مصر سودانُها
فمصرُ الرياضُ وسـودانُها عيون الرياض وخلجانُها

---

(١) يشير إلى أنه كان فى منفاه حين شبت الثورة .
(٢) يقصد القضية الوطنية .

وما هو ماءٌ ولكنه وزيدُ الحياة وشِرْيانُها
تتمِّمُ مصرَ ينابيعُهُ كما تمّمَ العينَ إنسانُها
وأهلوه منذ جرى عَذْبُه عشيرةَ مصر وجيرانُها

مشروع ملنر

هو مشروع المعاهدة الذى انتهت إليه مفاوضات سعد — ملنر سنة ١٩٢٠ ويحمل فى طياته عناصر الحماية ، وكان ممن عارضوه المرحوم الدكتور عبد الحميد أبو هيف ، فلما توفى سنة ١٩٢٦ رثاه شوقى فى قصيدة أشار فيها إلى هذه المعارضة وأيدها ، قال :

بالأمس كانت لابن هيف غَضْبَةٌ للحق نذكرها يداً بيضاء
مشت البلاد إلى رسالة (ملنر) وتحفزت أرضا لها وسماء
فلمحتُ أعرجَ فى زوايا الحق لم أعلمْ عليه ذِمَّةً عرجاء[1]
ارتدت العاهاتُ عن أخلاقه ليُسمّوهنّ وحلّت الأعضاء
لما رأى (التقرير) ينفث سمّه سبق الحواة فأخرج الرقطاء[2]
هتك الحمايةَ والرجال وراءها يتلمسون لها الستور رياء

تصريح ٢٨ فبراير

وقال عن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢[3] :

ربحت من (التصريح) أن قيودها قد صرن من ذهبٍ وكنّ حديداً
أو ما ترون على (المنابع)[4] عُدَّةً لا تنجلى وعلى (الضفاف) عديدا
يا فتيةَ النيل السعيد خذوا المدى واستأنفوا نَفَسَ الجهاد مديدا

---

(١) أصيب المرحوم أبو هيف بمرض بترت فيه ساقه وكان يمشى على ساق صناعية .
(٢) الرقطاء . الحية .
(٣) هو التصريح الذى أعلنته بريطانيا فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وأقرت فيه بانتهاء الحماية على مصر وبالاعتراف باستقلالها واحتفظت فيه بتولى أمور أربعة تعصف بجوهر الاستقلال وهى (١) تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية فى مصر (٢) الدفاع عن مصر (٣) حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات (٤) السودان .
(٤) منابع النيل بالسودان . وعدة أى جنودا . والضفاف ضفاف قناة السويس .

يدعو إلى التضحية

ويهاجم الاستعمار

قال يدعو إلى الجد والتضحية :

والمرء ليس بصادقٍ فى قوله حتى يؤيد قولَه بفعَالِه
والشعب إن رام الحياة كبيرةً خاضَ الغِمار دما إلى آماله

ومن قصيدته سنة ١٩٢٦ فى نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسى :

لحَاها اللهُ أنباءٌ توالتْ على سمع الولىّ بما يشقُّ(١)
يفصّلها إلى الدنيا بريدٌ ويُجْملها إلى الآفاق بَرْقُ
وللمستعمرين وإن ألانوا قلوبٌ كالحجارة لا تَرِقُّ
رماك بطيشه ورمى فرنسا أخو حربٍ به صَلَفٌ وحُمق
إذا ما جاءه طُلاَّب حقٍّ يقول عصابةٌ خرجوا وشَقُّوا
دمُ الثوار تعرفه فرنسا وتعلم أنه نورٌ وحقُّ

إلى أن قال :

نصحتُ ونحن مختلفون داراً ولكن كُلُّنا فى الهمِّ شَرْق
ويجمعنا اذا اختلفت بلادٌ بيانٌ غيرُ مُختلفٍ ونُطْقُ
وقفتم بين موت أو حياة فإن رمتم نعيمَ الدهر فاشْقوا
وللأوطان فى دم كل حرٍّ يدٌ سلفتْ ودَيْنٌ مستحقّ

ومن يَسقى ويَشْرَبُ بالمنايا إذا الأحرار لم يُسْقَوا ويَسْقُوا ؟
ولا يبنى الممالكَ كالضحايا ولا يُدْنِى الحقوق ولا يحقّ
ففى القتلى لأجيالٍ حياةٌ وفى الأسرى فِدًى لهمُ وعتْقُ
وللحرية الحمراء بابٌ بكلّ يدٍ مضرَّجة يُدَقُّ

---

(١) الولى أى المحب والصديق .

يشفق على الوطن

من قصيدة له فى استقبال عيد الفطر يشفق على مصر ويقول أن لا عيد حتى تتحق أهدافها .

وطنى أسفتُ عليكَ فى عيد المَلاَ ... وبكيتُ من وَجَد ومن إشفاق
لا عيدَ لى حتى أراكَ بأمَّةٍ ... شمّاء راوية من الأخلاق
ذهب الكرامُ الجامعون لأمرهمْ ... وبقيتُ فى خَلَف بغير خلاق (١)
أيظلّ بعضُهم لبعض خاذلا ... ويقالُ شَعبٌ فى الحضارة راق ؟
وإذا أراد الله إشقاء القُرىَ ... جعلَ الهداةَ بها دُعاةَ شِقاق

يدعو إلى الأخلاق

إن بيته المشهور عن الأخلاق هو ديوان من الشعر تتجلى فيه الحكمة الأزلية فى أن الأخلاق هى أساس حياة الأمم وسبيلها إلى العظمة والمجد :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد أكد هذا المعنى الرائع فى غير موضع .

قال :

وإذا أصيب القومُ فى أخلاقهم ... فأقِمْ عليهم مأتماً وعويلا

وقال :

وما السلاحُ لقومٍ كلُّ عُدَّتهم ... حتى يكونوا من الأخلاق فى أُهب

وقال أيضاً :

على الأخلاق خُطُّوا الملكَ وابنوا ... فليس وراءها للعز رُكْنُ

وقوله :

المجدُ والشرفُ الرفيعُ صحيفةٌ ... جُعلتْ لها الأخلاقُ كالعُنوان

---

(١) الخلاق : النصيب الوافر من الخير .

وقوله :

وإذا ما أصابَ بُنْيانَ قومٍ وَهْيُ خُلْقٍ فإنه وَهْيُ أُسِّ

وقوله :

كذا الناس بالأخلاق يَبْقَى صلاحُهم ويذهبُ عنهم أمرُهم حين تَذْهَبُ

وقوله :

ولقد يُقام من السيوف وليس مِنْ عَثَرَاتِ أخلاقِ الشعوب قيامُ

ومن قصيدته (نهج البردة) :

صلاحُ أمْرِكَ للأخلاق مَرْجِعُه فقوِّم النفسَ بالأخلاق تَسْتَقِمِ

والنفسُ من خيرها فى خير عافية والنفس من شرها فى مرتعٍ وَخِمِ

وقوله :

وكان جنابُهم فيها مَهِيبا وَللأَخلاقُ أجدرُ أن تُهابا

وقال فى هذا المعنى من قصيدة له سنة ١٩٢٠ :

وليس بعامرٍ بنيانُ قومٍ إذا أخلاقهم كانت خرابا

وقوله :

ولا المصائب إذ يُرمَى الرجالُ بها بقاتلاتٍ إذا الأخلاقُ لم تُصَبِ

يدعو إلى الوحدة الوطنية

من قصيدة له فى رثاء بطرس غالى سنة ١٩١٠ :

الحقُّ أبلجُ كالصباح لناظرٍ لو أن قوما حَكَّموا الأحلاما

أعَهِدتَنا والقِبط إلا أمةً للأرض واحدةً تروم مراما

نُعْلِي تعاليمَ المسيح لأجلهم ويوقِّرون لأجلنا الإسلاما

الدينُ للديَّان جلَّ جلاله لو شاء ربك وحَّدَ الأقواما

يا قومِ بانَ الرشدُ فاقْضوا ما جرى وخذوا الحقيقة وانبذوا الأوهاما

هذى ربوعُكم وتلك ربوعنا متقابلين نعالج الأياما
هذه قبوركم وتلك قبورنا متجاورين جماجماً وعظاما
فَبِحرْمة الموتى وواجب حقهم عيشوا كما يقضى الجوارُ كراما

وقال من قصيدة أخرى له فى هذا المعنى سنة ١٩١٠ :

تعالَوْا عسى نطوى الجفاء وعهدَه وننبذ أسباب الشقاق نواحيا
ألم تك (مصرٌ) مَهْدَنا ثم لحدنا وبينهما كانت لكلٍّ مغانيا
ألم تك من قبل (المسيح بن مريم) و (موسى) و (طه) تعبد النيل جاريا
فهلا تساقَيْنا على حُبه الهوى وهلاّ فديناه ضفافا ووواديا
وما زال منكم أهل ودّ ورحمة وفى المسلمين الخيرُ ما زال باقيا
فلا يَثْنكم عن ذمة قتلُ (بطرس) فقِدْماً عرفنا القتل فى الناس فاشيا

القوة فى الاتحاد

صوت الشعوب من الزئير مجمعا فإذا تفرق كان بعضَ نباح

يستحث الشباب على العلم والجهاد

قال مخاطبا الشباب فى قصيدة نظمها سنة ١٩٢٤ :

يا شباب الغد وأبناى الفدى لكمُ أكرِمْ وأعززْ بالفداء
هل يمد الله لى العيش عسى أن أراكم فى الفريق السعداء
وأرى تاجكمُ فوق السها وأرى عرشكمُ فوق ذُكاء
من رآكم قال مصر استرجعت عزها فى عهد (خوفو) و (مناء)
أمة للخلد ما تبنى إذا ما بنى الناسُ جميعا للعفاء
إنما مصر إليكم وبكم وحقوق البر أولى بالقضاء
عصركم حر ومستقبلكم فى يمين الله خير الأمناء

لا تقولوا حطّنا الدهر فما هو إلاّ من خيال الشعراء
هل علمتم أمةً فى جهلها ظهرت فى المجد حسناء الرداء
باطن الأمة من ظاهرها إنما السائل من لون الإناء
فخذوا العلم على أعلامه واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقرأوا تاريخكم واحتفظوا بفصيح جاءكم من فصحاء

أنزل الله على ألسنهم وحْيه فى أعصر الوحى الوضاء
واحكموا الدنيا بسلطان فما خُلقت نضرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض فإن هى ضاقت فاطلبوه فى السماء !

يدعو إلى إنكار الذات

وقال مخاطبا الشباب فى قصيدة قالها سنة ١٩٢٤ :

قالوا أتنظم للشباب تحيّة تبقى على جيد الزمان قصيدا
قلت الشباب أتم عقد مآثر من أن أزيدهمو الثناء عقودا
قبلتْ جهودهم البلاد وقبّلت تاجا على هاماتهم معقودا
خرجوا فما مدوا حناجرهم ولا منّوا على أوطانهم مجهودا
خفى الأساس عن العيون تواضعا من بعد ما رفع البناء مشيدا

حكمه وعظاته

تنساب فى شعر شوقى الحكم والعظات يخاطب بها مواطنيه و يبصرهم بعبر التاريخ وعظات الحوادث ، مما نذكر طرفا منه .

جلال الخالدين

قال عن جلال الملوك وأنه إلى زوالٍ ولا يبقى إلاّ جلال الخلود :

جلالُ الملك أيامٌ وتمضى ولا يمضى جلال الخالدينا

الخلود للعمل الصالح

وقال سنة ١٩٢٣ عن الخلود وأنه للعمل الصالح :

من سَرَّه أن لا يموتَ فبا لعُلَى خُلِّدَ الرجال و بالفعالِ النَّابهِ
ما مات من حاز الثَّرَى آثارَه واستولت الدنيا على آدابه
قل للمدلّ بما له وبجاهه و بما يُحلّ الناسُ من أنسابه
هذا الأديم يَصُدّ عن حُضّاره وينام ملءُ الجفن عن غُيّابه
إلا فتًى يمشى عليه مجدّداً ديباجتيه معمّرا لخرابه

العدل أساس الملك

وقال فى العدل :

والعدل فى الدولات أسٌّ ثابت يُفنى الزمانَ وينقذ الأجيالا

فلسفة الحياة

وقال من قصيدته فى رثاء مصطفى كامل :

دقَّاتُ قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

ومن قوله فى ذكرى كارنارفون مكتشف كنوز توت عنخ آمون :

فى الموت ما أعيا[1] وفى أسبابه كل امرئ رَهْنٌ بِطَىِّ كتابه
إن نام عنك فكل طبٍّ نافع أو لم ينم فالطب من أذنابه

إلى أن قال منوها بفضل كارنارفون فى اكتشافاته الأثرية :

أفْضَى إلى خَتم الزمان ففَضّهُ وحَبَا إلى التاريخ فى محرابه
وطوى القرونَ القهقرى حتى أتى فرعونَ بين طَعامه وشرابه

ومن قوله فى العظة والاعتبار حين سقطت أدرنة وكانت من أمهات المدن الإسلامية فى مقدونية وغلبها البلغار سنة ١٩١٢ :

يا أخت أندلس عليك سلامُ هوت الخلافة عنك والإسلامُ

---

(١) ما أعيا ، أى ما أعجز عن إدراك حقيقته . ورهن بطى كتابه ، أى باق فى الحياة حتى ينتهى أجله .

إلى أن قال يندد بسياسة الترك :

رفعوا على السيفِ البناءَ فلم يدم ما للبناءِ على السيوف دوام
أبقى الممالكِ ما المعارفُ أسّه والعدلُ فيه حائطٌ ودعام
إن الغرورَ إذا تملكَ أمةً كالزهرِ يُخفي الموتَ وهو زؤام

لا حقّ للضعيف

وقال سنة ١٩٢٣ أثناء انعقاد مؤتمر لوزان مشيرا إلى صلف الإنجليز مع مصر لأنها لم يكن لها من القوة ما تسترد به حقها :

أتعلم أنهم صلفوا وتاهوا وصدّوا الباب عنا موصدينا ؟
ولو كنا نجرّ هناك سيفا وجدنا عندهم عطفا ولينا
سيقضى (كرزن) بالأمر عنا وحاجاتُ (الكنانةِ) ما قضينا

وقال فى هذا المعنى :

يا طَيرُ والأمثالُ تُضرب للبيب الأمثل
دُنياك من عاداتها ألا تكون لأعزل

الحكم للشعوب ، لا للمستبدين

قال سنة ١٨٩٤ فى أول قصيدة له فى ديوانه ينبه الملوك إلى قوة الشعوب و يدعوهم إلى النزول على حكمها :

إن ملكتَ النفوس فابغ رضاها فلها ثورةٌ وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسر فكيف الخلائق العقلاء ؟
يحسب الظالمون أن سيسودو ن وأن لن يؤيد الضعفاء
والليالى جوائرٌ مثلما جا روا وللدهر مثلهم أهواء

وقال سنة ١٩٢٢ يبشر بحكم الشعوب وزوال حكم الفرد :

زمان الفرد يا فرعون وَلّى ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعية نازلينا

وقال سنة ١٩٢٣ يندد بالمستبدين :

المستبدّ يُطاق فى ناووسه لا تحت تاجيه وفوق وثابه[١]
والفرد يؤمن شره فى قبره كالسيف نام الشرُّ خلف قِرابه[٢]

وقال فى هذا المعنى يخاطب توت عنخ آمون سنة ١٩٢٥ :

قسما بمن يحيي العظام ولا أزيدك من يمينْ
لو كان من سفر أيا بك أمس أو فتح مبين
لرأيت جيلا غير جيلك بالجبابر لا يدين
ورأيتَ محكومين قد نصبوا وردّوا الحاكمين[٣]
رُوحُ الزمان ونَظْمُه وسبيله فى الآخرين
ان الزمان وأهله فرغا من الفرد اللعين

فإذا رأيت مشايخا أو فتية لك ساجدين
لاقِ الزمانَ تجدهم عن ركبه متخلّفين
هم فى الأواخر مولدا وعقولهُم فى الأولين

الشعب قد يُخدَع

قال فى مسرحية (مصرع كليو باترة) على لسان (حابى) يخاطب (ديون)[٤] :

إسمَع الشعب ديونُ كيف يُوحون إليه
ملأ الجوَّ هُتافا بحياتىْ قاتلَيْه
أثَّر البهتانُ فيه وانطلَى الزُّورُ عليه
يا لَهُ من بَبَّغاء عقلُه فى أُذُنَيْه

(١) الناووس . القبر . والوثاب : السرير . (٢) قراب السيف غمده .
(٣) نصبوا وردوا ، أى ولوا وعزلوا الحاكمين .
(٤) حابى وديون من أشخاص الرواية وكلاهما من أمناء مكتبة قصر كليوباترة .

obeikandl.com

الحياة الدستورية السليمة

قال عن الدستور :

شرُّ الحكومة أن يساس بواحد ... فى الملك أقوامٌ عداد رماله

وقال سنة ١٩٢٤ من قصيدة له عن (الأزهر) :

وتفيّأوا الدستور تحتَ ظلالِه ... كَنَفاً أهشَّ من الرياض وأنضرا
لا تجعلوه هوىً وخُلْفاً بينكم ... ومَجرَّ دُنْيا للنفوس ومَتْجَرا

اليوم صَرَّحت الأمورُ فأظهرتْ ... ما كان من خَدع السياسة مضمرا
قد كان وجْهُ الرأى أن نبقى يداً ... ونرى وراء جنودها إنجلترا
فإذا أتتنا بالصفوف كثيرةً ... جئنا بصفٍّ واحد لن يُكْسَرا

وقال سنة ١٩٢٦ من قصيدة له فى عيد الجهاد :

وبالدستور وهو لنا حياةٌ ... نرى فيه السلامةَ والفلاحا
أخذناه على المُهَج الغوالى ... ولم نأخذه نَيْلاً مُسْتَماحا
بَنَيْنا فيه من دَمْعٍ رُواقا ... ومن دمِ كلِّ نابتةٍ جَناحا

وقال سنة ١٩٢٧ عن الحياة الدستورية السليمة :

إذا سَلِمَ الدستور هانَ الذى مَضَى ... وهان من الأحداث ما كان آتيا
الأكل ذنب لليالى لأجله ... سَدَلْنا عليه صَفْحَنا والتَّناسيا

وقال سنة ١٩٢٦ حينما اجتمع المؤتمر الوطنى يوم ١٩ فبراير من تلك السنة وائتلفت فيه الأحزاب يحيى الدستور لمناسبة عودته بعد توحيد الصفوف :

صَرْحٌ[1] على الوادى المباركِ ضاحى ... متظاهرُ الأعلام والأوضاحِ
ضافى الجلالة كالعَتيق مُفَصَّلٌ ... ساحاتِ فضل فى رِحابِ سَماح
وكأن رَفْرَفَه رواق من ضُحًى ... وكأن حائطَه عمودُ صَباح

(١) يريد الدستور .

الحقُّ خَلْف جناحِ استذرى[1] به ... ومراشِدُ السلطانِ خلفَ جَنَاح
هو هيكلُ الحرية القانى ، له ... ما للهياكلِ من فِدًى وأَضَاح
يُبْنَى كما تُبنَى الخنادقُ فى الوغى ... تحتَ النبالِ وصَوْبها السحَّاح
يَنْهارُ الاستبدادُ حولَ عِراصِه ... مِثْلَ انهيارِ الشركِ حول (صلاح)[2]
ويكبُّ طاغوتُ الأمور لِوَجْهه ... متحطِّمَ الأصنامِ والأشباح

* * *

هو ما بَنَى الأعْزَالُ بالرَّاحات أو ... هو ما بَنَى الشهداء بالأرواح
أخَذَتْهُ (مصرُ) بكل يومٍ قاتمٍ ... وَرْدِ الكواكب أحمرِ الإصْباح
هَبَّتْ سِماحاً بالحياةِ شَبابُها ... والشِّيب بالأَرْماقِ غيرُ شِحَاح
وَمَشَتْ إلى الخَيْلِ الدوارعِ وانبَرَتْ ... للظَّافرِ الشاكى بغير سِلَاح
وقفاتُ حقٍّ لم تَقِفْها أمةٌ ... إلَّا انثَنَتْ آمالُها بنجاح
وإذا الشُّعوبُ بَنَوْا حقيقة مُلكِهمْ ... جعلوا المآتمَ حائط الأفراح

إلى أن قال فى توحيد الصفوف :

بُشرى إلى الوادى تَهُزُّ نَبَاتَهُ ... هَزَّ الربيعِ مَنَاكب الأدواح
تسرى مُلَمَّحَةَ الحجُول على الرُّبَى ... وَتَسِيلُ غُرَّتُها بكلِّ بِطاح
التامت الأحزابُ بعد تَصَدُّعٍ ... وتصافت الأقلامُ بعد تَلَاح
سُحبَتْ على الأحقاد أذيالُ الهوى ... ومَشى على الضغْن الودادُ الماحى
وَجرَتْ أحاديثُ العتاب كأنها ... سَمَرٌ على الأوتاد والأقداح
ترْمى بِطرْفِكَ فى المجامع لا ترى ... غيرَ التعانُق واشتباك الراح

إلى أن قال يصف تعطيل الدستور عام ١٩٢٥ :

إحتَلَّ حِصن الحق غيرُ جنودهِ ... وتكالَبَتْ أيدٍ على المفتاح

---

(١) استذرى : استظل .
(٢) صلاح : اسم لمكة .

ضَجَّت على أبطالها ثُكُناتُه ... واستَوْحَشَت لِكُماتها النُّزَّاح
هُجِرَت أرائِكُه وعُطِّلَ عُودُه ... وخـــــلا من الغادين والرواح
وعلاهُ نَسْجُ العنكبوت فزاده ... كالعارِ من شرفٍ وسمتِ صلاح

وقال ينصح الشباب :

قُلْ للبنين مقالَ صـــدق واقتصد ... ذرعُ الشباب يضيقُ بالنُّصَّاح
أنتمْ بنو اليوم العصيبِ نشأتمو ... فى قصف أنواء وعصف رياح
ورأيتمو الوطَنَ المؤلف صخرَةً ... فى الحادثات وسَيْلها المجتاحِ
وشهدتمو صَدْعَ الصفوفِ وما جَنَى ... من أمر مُفْتاتٍ ونَهْيِ وَقاح
صوتُ الشعوب من الزئير مجمَّعاً ... فإذا تَفَرَّق كان بعضَ نُباح
أظمتكمو الأيامُ ثم سقتكمو ... رَنَقاً من الإحسانِ غيرَ قَرَاح
و إذا مُنِحتَ الخيرَ من مُتَكلِّفٍ ... ظَهَرَتْ عليـــه سجيَّةُ المنّاح
تركَتْكمو مثلَ المَهيضِ جناحُه ... لا فى الجبال ولا طريقَ سَراح
مَنْ صَيّرَ الأغلالَ زُهْرَ قلائدٍ ... وكسا القيودَ محاسنَ الأوضـــاح
إن التى تبغونَ دونَ منالها ... طولُ اجتهادٍ واضطرادُ كِفاح
ســـيروا إليها بالأناةِ طويلةً ... إنّ الأناةَ ســـبيلُ كل فلاح
وخذوا بناء المُلْكِ عن دُستوركم ... إن الشِّرَاعَ مُثَقِّفُ المـلّاح

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٦ حين اجتمع برلمان الائتلاف :

الحق أبلجُ والكنانة حُـرَّةٌ ... والعزُّ للدســـتور والإكبارُ
الأمر شورى لا يعيثُ مسلَّط ... فيـــــه ولا يطغَى به جبّار
عهدٌ من الشورى الظليلة نُضِّرت ... آصاله واخضلَّت الأســـحار
تجنى البلاد بها ثمارَ جهودها ... ولكل جهد فى الحياةِ ثمار
بنيان آباء مشوا بسلاحهم ... وبنين لم يجدوا السلاح فثاروا

فيه من التل المدرَّج حائطٌ ومن المشانق والسجون جدار
أبت التقيد بالهوى وتقيدت بالحق أو بالواجب الأحرار
فى مجلس لا مالُ مصر غنيمة فيه ولا سلطانُ مصر صَغَار
ما للرجال سوى المراشد منهجٌ فيه ولا غير الصلاح شعار
يتعاونون كأهل دارٍ زلزلت حتى تقر وتطمئن الدار
يجرون بالرفق الأمور وفلكها والريح دون الفلك والإعصارُ
ومع المجدّد بالأناة سلامةٌ ومع المجدّد بالجماح عِثارُ

يدعو إلى انتخاب الأكفاء الشرفاء

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٢ قال فى مطلعها :

أُعِدَّت الراحةُ الكبرى لمن تَعبا وفاز بالحق من لم يَأْلُهُ طلبا

إلى أن قال مشيرا إلى الانتخابات البرلمانية :

دارُ النيابة قد صُفَّتْ أرائكُها لا تُجْلسوا فوقها الأحجار والخُشُبا
اليومَ يا قَوْمُ إذْ تبنون مجلسَكم تبنون للعَقِبِ الأيامَ والحقبا

ومن قصيدته سنة ١٩٢٤ عن (الأزهر) :

دار النيابة هُيِّئَت درجاتُها فلْيَرْقَ فى الدَّرَج الذوائبُ والذُّرَا
الصارخون إذا أسيء إلى الحِمَى والذَّائدون إذا أُغِيرَ على الشَّرَى
لا الجاهلون العاجزون ولا الأُلى يمشون فى ذَهَب القيود تبَخْتُرًا

رُوَّاد الوطنية

قال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له فى رثاء المرحوم عبد اللطيف الصوفانى :

ألستَ من فئة سهامٍ سَنُّوا المحاماة والرِّمَاء
فَنَاهُم بالشباب ضحًّى ما أعظم الذِّبحَ والفداء
ومات أبطالهم جياعا فى غير أوطانهم ظماء

ولو أرادوا متاع دنيا لأدركوا الحكم والثراء
قضيةُ الحق منذ قامت لم تألُ أركانَها بناء
تحذو على مصطفى وتبنى جيلا من الحق أقوياء
شرعتمو للشباب دِينا كدينهم بيِّنًا سواء
لما أتيتم به جعلتم رأسَ تعاليمه (الجلاء)
جمعتمْ مصر ثم سرْتم فكنتم الجمع واللواء
وما عرفتم لغير مصر وغير أحبابها ولاء
لم تمسحوا للعميد رأسا ولا نفضتم له حذاء

وقال من قصيدة يرثى فيها المرحوم أمين الرافعى :

قيل غالٍ فى الرأى قلتُ هَبُوه قد يكون الغلوّ رأيا أصيلا
وقديما بنى الغلوّ نفوسا وقديما بنى الغلوّ عقولا
قد فقدنا به بَقيَّة رَهْطٍ أيقظوا النيل واديا ونزيلا
حرَّكوه وكان بالأمس كالكهف حُزونا وكالرقيم سُهولا
يا أمين الحقوق أدّيت حتى لم تَخُنْ مصرَ فى الحقوق فتيلا
ولو اسْطَعْتَ زدتَ مصر من الحقِّ على نيلها المبارك نيلا
لستُ أنساك قابعا بين درجيك مكبًّا عليهما مشغولا
قد تواريت فى الخشوع فخالو ك ضئيلا وما خلقتَ ضئيلا
سائل (الشعب) عنك و (العَلَمَ) الخفاق أو سائل (اللواء) الظليلا
تُنشِد الناسَ فى (القضية) لحناً كالحوارىِّ رتَّل الإنجيلا
ماضيا فى الجهاد لم تتأخر تَزِن الصفَّ أو تقيم الرَّعيلا
ما تبالى مضيتَ وحدك تَحْمِى حَوْذةَ الحق أم مضيتَ قبيلا

يدعو إلى النهضة الاقتصادية

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له فى الاحتفال بإنشاء بنك مصر يدعو إلى الاكتتاب فى رأس مال البنك و ينوه بفضل المال فى نهضة الأمم :

قف بالممالك وانظر دولة المال ... واذكر رجالا أدالوها بإجمال

إلى أن قال :

ياطالبا نعالى الملك مجتهداً ... خذها من العلم أو خذها من المال

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم ... لم يُبْنَ ملكٌ على جهل و إقلال

سراة مصر عهدناكم إذا بُسطت ... يد الدعاء سراعا غير نُكّال

تبين الصدق مَن بين الأمور لكم ... فامضوا إلى الماء لا تلووا على الآل

لايذهب الدهر بين الترهات بكم ... و بين زهر من الأحلام قتال

هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا ... رأيا لرأى ومثقالا بمثقال

هذا هو الحجر الدرىّ بينكمو ... فابنوا بناء قريش بيتها العالى

آمال مصر إليها طالما طمحت ... هل تبخلون على مصر بآمال

فابنوا على بركات الله واغتنموا ... ما هيأ الله من حظٍّ و إقبال

وقال فى قصيدة أخرى :

الملك بالمال والرجال ... لم يُبن ملك بغير مال

يحيي النهضة النسوية

كان مؤيداً ونصيراً لنهضة المرأة ، ألقى هذه القصيدة سنة ١٩٢٤ فى جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الأزبكية ، وجعل عنوانها فى ديوانه (مصر تجدد مجدها بنسائها المتجددات) قال :

قُم حَيِّ هذى النيّراتِ ... حيِّ الحسَانَ الخيّرات

واخفِضْ جَبينك هَيبةً ... للخُرَّد المتخفّرات[1]

(١) الخرد : العذارى ، والمتخفرات : المستحييات ، والخفر هو الحياء .

زَيْنَ المقاصِرِ والحجَا لِ وزيْنَ محرَابِ الصلاة
هـذا مَقَامُ الأُمَّهَا تِ فهل قَدرتَ الأُمهاتِ ؟
لا تلغُ[1] فيه ولا تَقُلْ غـير الفَواصِلِ محكَمات
وإذا خطبتَ فلا تكن خطْباً على مِصرَ الفتـاةِ
اذكرْ لها اليـابانَ لا أُممَ الهـوى المتهتّكاتِ
ماذا لقيتَ من الحضـا رة يا أُخيَّ الترّهاتِ
لم تُـلق غير الرق من عُسرٍ على الشرقيّاتِ

* * *

خُذْ بالكِتَاب وبالحدِيـ ـثِ وسيرةِ السَلَف الثِقَاة
وارجع إلى سُنن الخليـ ـقَةِ واتّبِعْ نُظُمَ الحياةِ
هـذا رسولُ الله لم يُنقِصْ حُقُوقَ المؤمنات

العلمْ كان شريعةً لنسـائه المُتفقّهاتِ
رُضْنَ التجارة والسـيا سةَ والشؤونَ الأُخريات
ولقـد علمتَ بناته لُججُ العلوم الزاخرات
كانت سكينةُ[2] تملأ الـ ـدنيـا وتهزأُ بالرواة
روت الحديثَ وفسرتْ آى الكتابِ البينات
وحضارةُ الإسـلام تند طُقُ عن مكان المسلمات

بغـدادُ دار العالما ت ومنزلُ المتأدبات
ودِمشـقُ تحت أميةٍ أمّ الجوارى[3] النابغاتِ
ورياضُ أندلسٍ نَمَيْـ ـنَ الهاتفاتِ الشاعرات
أدْعُ الرجالَ لينظُروا كيف اتحادُ الغانيات

---

(١) لا تلغ : لا تقل باطلا . (٢) سكينة بنت الحسين رضى عنهما . (٣) الفتيات .

والنَفْع كيف أخَذْنَ فى أســـبابه متعاونات
لما رأيْنَ ندى الرِّجا لِ تَفاخُراً أو حُبَّ ذات
ورأيْنَ عِنْدَهُمُو الصنا ئِعَ والفُنُونَ مُضَيَّعاتِ
والبر عندَ الأغنيـــا ء من الشؤونِ المُهْمَلاتِ

أقبلن يَبْنِـــينَ المَآ ثِرَ للنجاح مُوَفَّقاتِ
للصالحاتِ عقائلِ الـ ـوَادِى هوىً فى الصالحات
الله أنبتهـــنَّ فى طاعاته خيرَ النَّباتِ
فأتين أَطيبَ ما أتى زَهَرُ المناقِبِ والصفاتِ
لم يكفِ أنْ أحْسَنَّ حـ ـتى زِدْنَ حضَّ المحسنات
يمشينَ فى سُوقِ الثوا بِ مُساوماتِ رابحاتِ
يَلْبَسْنَ ذُلَّ الســـائلا تِ وما ذكَرْنَ البائسات
فوجُـــــوهُهُنَّ وماؤها سِتْرٌ على المُتَجَمِّلاتِ
مصرٌ تُجدِّدُ مَجْـــدَها بنســـائِها المُتَجَدِّدَاتِ

النافراتِ مِنَ الجُمُو دكأنه شَبَـــحُ المَماتِ
هل بَيْنَهُنَّ جَوَامِداً فَرْقٌ وبينَ المُومياتِ
لما حَضَنَّ لنا القضـ ـيةَ كُنَّ خيرَ الحاضِناتِ
غَذَّيْنَهَا فى مَهْدِهَـــا بِلِبَابِهِنَّ الطـاهراتِ
وسَبَقْنَ فيها المُعْلمي نَ إلى الكَرِيهَةِ مُعْلَماتِ[1]
يَنْفُثْنَ فى الفِتْيَانِ من رُوحِ الشجاعة والثباتِ
يَهْوَيْنَ تقبيلَ المُهَنَّـ ـد أو مُعَانَقَةَ القناة
ويَرَيْنَ حتى فى الكَرَى قُبَلَ الرِّجال مُحَرَّماتِ

---

(١) المعلمون : بفتح اللام : الفرسان لهم علامة فى الحرب لبطولتهم .

يحيي الصحافة

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له فى احتفال أقامته نقابة الصحفيين :

لكل زمان مضى آيةٌ وآية هـذا الزمان الصُّحُفْ
لسان البلاد ونبض العباد وكهف الحقوق وحرب الجَنَفْ[1]
تسير مسير الضحى فى البلاد إذا العلم مزَّق فيها السَّدف
وتمشى تعـــلَّم فى أمَّة كثيرةٍ من لا يخطُّ الألف

* * *

فيا فتية الصحف صبراً إذا نبا الرزقُ فيهـا بكم واختلف
فإن السعادة غـــيرُ الظهور وغير الثراء وغـــير التَّرَف
ولـكنهـا فى نواحى الضمير إذا هـــو باللؤم لم يكتنف
ورووا النبوغَ فمن نَالَه تلقى من الحظ أسنى التحف

* * *

حمدنا بلاءكمُ فى النضـــال وأمس حمدنا بلاء السلف
ومن نسى الفضل للسابقين فما عرف الفضل فيما عرف
أليس إليهم صـــلاحُ البناء إذا ما الأساس سَمَا بالغُرَف

يندد بمن يخذل الوطنية

فى سنة ١٩٠٤ خطب مصطفى رياض باشا فى حفلة تأسيس مدرسة محمد على الصناعية بالإسكندرية خطبة امتدح فيها اللورد كرومر كما امتدح الاحتلال البريطانى

وقد أثارت هذه الخطبة سخط الرأى العام واستنكرها المواطنون ، وكان شوقى صوت الشعر الناطق باستنكار الخطبة وصاحبها ، قال :

كبيرَ السابقـين من الكرام برغْمى أن أنالك بالمـــلام

---

(١) الجور والظلم .

مقامك فوق ما زعموا ولكن رأيت الحق فوقك والمقام

إلى أن قال :

غمرتَ القوم[1] إطراءً وحمداً وهم غمروك بالنعم الجسام
رأوا بالأمس أنفكَ بالثريا فكيف اليوم أصبح فى الرّغام
خطبتَ فكنت خطبا لا خطيبا أضيف إلى مصائبنا العظام
لهجت بالاحتلال وما أتاه وجرحك منه لو أحسست دام
وهل تركت لك السبعون عقلا لعرفان الحلال من الحرام ؟

يندد بقاضى دنشواى

كان أحمد فتحى زغلول أحد قضاة محكمة دنشواى الذين أصدروا ذلك الحكم الجائر فى تلك المأساة سنة ١٩٠٦ ، وقد رقى بعد ذلك وكيلا لوزارة الحقانية (العدل) وأقيمت له حفلة تكريم فى فندق شبرد دعى إليها شوقى فرفض الدعوة وأرسل فى ظرف مغلق هذه الأبيات التى عبر فيها أبلغ تعبير عن تنديده بالمحتفل به و بالمحتفلين :

إذا ما جمعتم أمركم وهممتمو بتقديم شىء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تعرضوا شعرى عليه فحسبه من الشعر حكم خطّه بيمين
ولا تقرأوه فى « شبرد » بل اقرأوا على ملأ فى دنشواى حزين

الحنين إلى الوطن

زاد حب شوقى للوطن وتعلقه به فى منفاه بالأندلس ، وقد كان نفيه بأمر السلطة العسكرية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥ ، و بقى فى منفاه بعيدا عن الوطن نحو خمسة أعوام إلّا قليلا ، فازداد شعوراً بلوعة الحزن على فراقه ، واستثار النفى الوطنية الكامنة فى نفسه ، وأججت الغربة نارها ، فانطلق يشدو بالحنين إلى الوطن

(١) يريد المحتلين .

حسبك منه سينيته الأندلسية ، تلك القصيدة الخالدة التى نظمها سنة ١٩١٩ يعارض فيها سينية البحترى ، قال فى مطلعها :

إختلافُ النهار والليـــل يُنسِى ... أذكرا لى الصِّبا وأيامَ أنسى
وسَلَا (مصرَ) هل سلا القلبُ عنها ... أو أَسَا جُرحَـــهُ الزمانُ المؤسّى
كلما مرّت الليالى عليـــــه ... رَقّ والعهدُ فى الليـالى تُقسّى

إلى أن قال :

يا ابنـةَ اليمّ[1] ما أبوكِ بخيلٌ ... ما له مولَعاً بمنـــــعٍ وحبس
أحـــرامٌ على بلابله الدَوْ ... حُ حلالٌ للطير من كل جِنس ؟
كلُّ دار أحقّ بالأهـــل إلّا ... فى خبيثٍ من المذاهب رِجْس[2]
نَفسى مِرْجَـلٌ وقلبى شِراعٌ ... بهما فى الدموع سيرى وأرسِى
واجعلى وجهَك (الفنَار) ومجرا ... كِ يدَ(الثغر) بين(رمل)و(مكْس)
وطنى لو شُغِلْتُ بالخُـلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخـــلد نفسى
شَهِد اللهُ لم يَغِبْ عن جفونى ... شخصُهُ ساعةً ولم يَخْلُ حِسّى

والقصيدة من أروع ما نظم شوقى

وله فى هذا المعنى قصيدة أخرى رائعة نظمها فى منفاه يعارض فيها نونية ابن زيدون . قال :

يا نائحَ (الطّلْح) أشباهٌ عَوَادِينـا ... نَشْجَى لواديك أم نَأسَى لوادينا[3] ؟
ماذا تقُصُّ علينـا غيرَ أنْ يداً ... قصَّتْ جَناحك جالت فى حواشينا !

(١) يقصد السفينة .

(٢) يقصد مذهب الاستعمار الذى يضطهد الوطنيين وينفيهم ويمنعهم من التعبير عن آرائهم والإعراب عن آمالهم .

(٣) الطلح واد بالأندلس ، بضاحية أشبيلية ، يخاطب حمام هـذا الوادى ويتمثله شبيها به فى لوعته وغربته ، وعوادينا أى عوادى الدهر ومصائبه .

رمى بنا البينُ[1] أيْكاً غَير سامِرِنا أخا الغريب ؛ وظِلاً غير نادينا

ثم انتقل من خطاب الطائر الحزين إلى بكاء الأندلس قال :

آهاً لنا ! نازِحَيْ أيْكٍ بأندلس وإن حلَلْنا رفيفاً من روابينا[2]

رسمٌ وقفنا على رسم الوفاء له نجيش بالدمع والإجلالُ يَثْنينا

إلى أن قال فى الحنين إلى مصر :

لكنَّ (مصرَ) وإن أغضتْ على مِقَةٍ[3] عينٌ من الخُلْدِ بالكافور تَسقينا

على جوانبها رفَّت تمائمنا وحول حافاتها قامت رواقينا[4]

ملاعِبٌ مَرِحَتْ فيها مآرِبُنا وأربُعٌ أنِسَتْ فيها أمانينا

ومطلَعٌ لِسعودٍ من أواخرنا ومَغْرِبٌ لجدودٍ من أوَالينا

بِنَّا[5] فلم نَخْلُ من رَوْحٍ يُراوِحُنا من بِرِّ مصرَ وريْحانٍ يُغَادينا

كأمِّ موسَى على اسم الله تكفُلنا وباسمِهِ ذهبتْ فى اليمِّ تُلقينا[6]

ومصر كالكَرْمِ ذى الإحسان فاكهةٌ لحاضرين وأكوابٌ لبَادينا

* * *

يا سارىَ البرق يَرمى عن جوانحنا بعد الهدوء ويَهْمِى عن مآقينا

لما ترقرق فى دمع السماء دماً هاج البكا فخضَبْنا الأرض باكينا

إلى أن قال يخاطب مواطنيه :

إلى الذين وجدنا وُدَّ غيرِهم دُنْيَا وودَّهمو الصافى هو الدِّينا

يا من تَغَارُ عليهم من ضمائرنا ومن مَصُون هواهم فى تَنَاجينا

ناب الحَنِينُ إليكم فى خواطرنا فى النائبات فلم يأخذ بأيْدِينا

---

(١) البين : البعد ، والأيك : الشجر الكثير الملتف .

(٢) الرفيف : الخصيب . (٣) المقة : المحبة .

(٤) الرواقى : جمع راقية وهى ما يرقى به الصبى درءاً للسحر . (٥) بنا : أى بعدنا .

(٦) شبه مصر حين اضطرت إلى نفيه بأم موسى عليه السلام حين ألقته فى اليم صبيا وسألت الله أن يكفله .

إلى أن قال يشيد فى منفاه بعظمة مصر :

لم تنزل الشمسُ ميزاناً ولا صعدت ... فى ملكِها الضخمِ عرشاً مثل وادينا
ألم تُؤلَّهْ على حافاتِهِ ورأتْ ... عليه آباءها الغرَّ الميامينا ؟
وهذه الأرضُ من سَهْلٍ ومن جبلٍ ... قبل (القياصرِ) دِنَّاهَا (فراعينا)
ولم يضَع حَجَراً بانٍ على حجرٍ ... فى الأرض إلاَّ على آثار بانينا
كأن (أهرامَ) مصرٍ حائطٌ نَهَضَتْ ... به يدُ الدهر لا بنيانُ فانينا

إلى أن قال فى تحية مصر وتشوقه إليها من منفاه :

أرضُ الأبوةِ والميلاد طيَّبَها ... مَرُّ الصّبا فى ذيولٍ من تصابينا
كانت محجّلةً فيها مواقفُنا ... غُرًّا مُسَلسَلَةَ المَجْرى قوافينا
فآب من كُرَةِ الأيامِ لاعِبُنا ... وثابَ من سِنَةِ الأحلام لاهِينا
ولم نَدَعْ لليالى صافيا فدَعتْ ... بأن نَغصَّ فقال الدهر آمينا
لو استطعنا نُحضْنا الجوّ صاعقةً ... والبرَّ نارَ وغىً والبحر غِسْلينا[1]
سَعْياً إلى مصر تقضى حقَّ ذاكرنا ... فيها إذا نسى الوافى وباكينا

وقال يذكر والدته بحلوان وقد توفيت قبيل عودته :

كنزٌ (بحلوان) عند الله نطلبه ... خيرَ الودائع من خير المؤدينا
لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا ... لم يأته الشوق إلاَّ من نواحينا
إذا حَمَلْنا لمصرٍ أوله شجنا ... لم ندر أى هوى الأُمّين شاجينا .

وقال أيضاً سنة ١٩١٧ فى منفاه يهتف بمصر وساكنيها :

يا ساكنى مِصْرَ إنَّا لا نزال على ... عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا
هلاّ بعثتم لنا من ماء نيلكم ... شيئاً نبل به أحشاء صادينا[2]
كل المناهل بعد النيل آسنة ... ما أبعد النيل إلاَّ عن أمانينا

---

(١) الغسلين : الصديد .
(٢) الصادى : الظمآن .

وقد بعث شوقى بهذه الأبيات إلى صديقه وصنوه حافظ ابراهيم فأجابه حافظ بالأبيات الآتية :

عجبت للنيل يدرى أن بلبله ... صادٍ ويسقى رُبَا مصر ويسقينا
تالله ما طاب للأصحاب مورده ... ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم ننأ عنه وإن فارقت شاطئه ... وقد نأينا وإن كنا مقيمينا

يشيد بعظمة مصر

لقد ملك حب مصر مشاعره فكان يتغنى بعظمتها ويشيد بمفاخرها ، وتفيض قصائده بهذا المعنى السامى .

قال فى تحية مصر والنيل والهرم من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ يحيى بها الطائرين العثمانيين سالم وكمال حين قدومهما إلى مصر على متن طائرتهما عن طريق العريش وسيناء :

يا راكبَ الريح حيِّ النيلَ والهرَما ... وعظِّم السفحَ من سيناءَ والحرما
وقِفْ على أثرٍ مرَّ الزمانُ به ... فكانَ أثبتَ من أطوادِه قِمما
واخفِض جناحَكَ فى الأرضِ التى حملت ... موسى رضيعاً وعيسى الطهرِ مُنفطِما
وأخرجَتْ حكمةَ الأجيالِ خالدةً ... وبَّينتْ للعبادِ السيفَ والقلما
هذا فضاءٌ تُلمُّ الريحُ خاشعةً ... به ويمشى عليه الدهرُ مُحتشِما

وقال من قصيدة له فى أبى الهول :

أبَا الهَوْلِ طالَ عليكَ العُصُرْ ... وبُلِّغْتَ فى الأرض أقصى العُمُرْ
فيالِدَةَ الدَّهرِ[1] لا الدَّهرُ شَـبَّ ولا أنت جاوزت حَدَّ الصِّغَر
إلامَ ركوبُكَ مَتْنَ الرما ... لِ لِطَىٍّ الأصيل وجَوْب السَّحَرْ
تُسافر مُنتقلا فى القرو ... نِ فأيان تُلقى غُبار السفر ؟
أبيْنكَ عَهْدٌ وبين الجبا ... لِ تزولان فى المَوْعِد المُنتظَر[2] ؟

---

(١) أى يا أخا الدهر وقرينه فكأنه والدهر توأمان .
(٢) يوم القيامة .

أبا الهول أنتَ نديمُ الزما ... نِ نجيُّ الأوان سمير العُصُر
ظليـــلَ الحضارة فى الأوّليـ ... ـنَ رَفيعَ البناء جليـــلَ الأثر

وختمها بقوله :

تحرَّكْ أبا الهَول هـــذا الزما ... نُ تحركَ ما فيه حتى الحَجر

وقال عن الأهرام من قصيدة له سنة ١٩٢٢ :

قِفْ ناجِ أهرامَ الجلال ونادِ ... هل من بُناتك مجلس أو نادِ
نشكو ونفزع فيه بين عيونهم ... إن الأُبُوّة مفزع الأولاد
ونبثُّهم عبثَ الهوى بتراثهم ... من كلِّ مُلْقٍ للهوى بقياد
ونبين كيف تفرقَ الأخوانُ فى ... وقت البَلاء تفرقَ الأضداد[1]
إن المغالط فى الحقيقة نفسَه ... باغٍ على النفس الضعيفة عادِ

* * *

قل للأعاجيب الثلاث[2] مقالة ... من هاتف بمكانهن وشاد
لله أنت فما رأيتُ على الصفا ... هـذا الجلال ولا على الأوتاد
لك كالمعابد رَوْعةٌ قدسية ... وعليـــك روحانية العُبّاد
أُسِّسْتِ من أحلامهم بقواعد ... ورُفِعْتِ من أخلاقِهم بعماد
قُمْ قَبِّل الأحجار والأيدى التى ... أخذت لها عهداً من الآباد
وخذ النبوغ من الكنانة انها ... مهد الشموس ومسقط الآراد[3]

وقال يشيد بعظمة الأهرام من قصيدته (على قبر نابليون) :

قم إلى الأهرام واخشعْ واطَّرِحْ ... خيلة الصِّيد[4] وزهوَ الفاتحينْ

(١) يشير إلى الانقسام الذى حدث سنة ١٩٢١ بين سعد وعدلى وأنصارهما وتصدعت بسببه الوحدة الوطنية .
(٢) يريد الأهرام الثلاثة . (٣) الآراد جمع رأد . يريد رأد الضحى : وقت ارتفاع الشمس .
(٤) الملوك .

وتمهلْ إنمـــا تمشى إلى حرَم الدهر ومحرابِ القرون
هو كالصخرة عند القبط أو كالحطيم الطُهْر عند المسلمين
وتسنَّمْ منبراً من حجَرٍ لم يكن قبلك حظّ الخاطبين
وادع أجيالا تولت يسمعوا لك وابعث فى الأوالى حاشرين
وأعدها كلمات أربعاً[1] قد أحاطت بالقرون الأربعين
قد عرضت الدهر والجيشَ معاً غاية قصَّر عنها الفاتحون
عِظَةٌ قومى بهـــا أولى وإن بَعُدَ العهد فهل يعتبرون ؟

قصر أنس الوجود

وقال سنة ١٩١٠ عن قصر (أنسُ الوجود) بأسوان وكيف يغمره النيل وقت الفيضان ، من قصيدة يخاطب فيها الكولونل تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأسبق ، وكان قد ألقى خطبة ينتقص فيها من قدر المصريين فرد عليه شوقى بهذه القصيدة :

أيّها المُنتَحِى (بأســـوانَ) داراً كالثريّا تريد أن تَنقضَّـــا
اخلع النعلَ واخفِض الطرفَ واخشعْ لا تحاول من آيةِ الدّهرِ غَضَّا
قِفْ بتلك (القصورِ) فى اليمِّ غَرْقَى تُمسِكُ بعضُها من الذُّعر بعضـا
كعذارى أخفَيْنَ فى الماء بَضّا سـابحاتٍ به وأبدِيْنَ بَضّا
مُشرفاتٍ على الزوالِ وكانتْ مُشرفاتٍ على الكواكبِ نَهْضا
شابَ من حولها الزمانُ وشابتْ وشبابُ الفنونِ ما زال غَضّا
صَـنعةٌ تدهش العقولَ وفنٌّ كان إتقانُه على القوم فَرْضا
يا قصوراً نظرتُها وهى تَقْضِى[2] فسكبتُ الدموعَ والحقُّ يُقضَى

---

(١) يشير إلى الكلمة التى قالها نابليون لجنوده قبيل معركة الأهرام سنة ١٧٩٨ يستحثهم على القتال : « إن أربعين قرنا تنظر إليكم من فوق قمم هذه الأهرام » .

(٢) تقضى : أى تفنى .

أنتِ سطرٌ ومجدُ مصرَ كتابٌ كيف سامَ البِلى كتابَك فَضّا
وأنا المُحْتَفِي بتـــاريخ مصر مَن يَصُنْ مجدَ قومِهِ صانَ عِرْضا

وقال فى يناير سنة ١٩٢٣ بعد اكتشاف كنوز توت عنخ آمون يذكر عظمة مصر الخالدة :

قفى يا أخت (يوشع[1]) خبرينا أحاديث القرون الغابرينا
فمثلك من روى الأخبار طرا ومن نسب القبائل أجمعينا

إلى أن قال يشيد بحضارة قدماء المصريين وكيف بلغوا الشأو العظيم من المجد :

مشتْ بمنارهم فى الأرض (روما) ومن أنوارهم قَبست (أثينا)
ملوكُ الدهـــر بالوادى أقامُوا عَلَى (وادى الملوك) مُحَجَّبينا
تعـــالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارةِ مُنْطقِينا ؟
غَدوا يبنون ما يبْقى وراحوا وراء الآبداتِ مُخـــلَّدينا
إذا عَمـــدوا لمأثرةٍ أعدُّوا لهـــا الإتقانَ والخلق المتينا
وليس الخلدُ مرتبـــةً تلقَّى وتُؤْخذ من شـفاه الجاهلينا
ولـكن مُنتَهى هِمَمٍ كبار إذا ذهبتْ مصادِرُها بقينا
وسرُّ العبقرية حين يسرى فينتظم الصـــنائع والفنونا
وآثارُ الرجال إذا تناهتْ إلى التاريخ خـــير الحاكمينا
وأخذُك من فم الدنيـــا ثناء وتركِكَ فى مسامعها طنينا

وقال مخاطبا توت عنخ آمون :

ســـلامٌ يوم وارتك المنايا بواديهـا ويومَ ظهرتَ فينا
خرجت من القبور خروج عيسى عليك جـــلالةٌ فى العالمينا

(١) الخطاب للشمس .

ومن قصيدة أخرى له عن توت عنخ آمون وقد تخيله قد بعث بعد أربعين قرنا ورأى الاحتلال جاثما على صدر البلاد فحزن لما رآه وآثر العودة إلى قبره ، والقصيدة من أروع ما جادت به قريحة شوقى فى الإشادة بأمجاد مصر وفى المعانى الوطنية . قال فى مطلعها مخاطبا توت عنخ آمون :

قمْ سابق (الساعةَ) واسبق وعْدَها ... الأرضُ ضاقت عنكَ فاصدعْ غِمدها
واملأ رماحا غورَها ونَجْدَها ... وافتح أصول النيل واستردَّها
شلّالَها وعَذْبَها وعِدَّها[1] ... واصرف إلينا جَزْرها ومدها

إلى أن قال :

سافرَ أربعين قرنا عَدَّها ... حتى أتى الدارَ فألْفَى عندها
انْجِلْتَرا وجيشَها ولوردَها ... مَسْلُولَةَ الهندىِّ تحمى (هِنْدَها)[2]
قامت على (السودان) تبنى سَدَّها ... وركَّزت دون (القناة) بَنْدَها[3]

* * *

فقال والحسرةُ ما أشدَّها ... ليتَ جدار القَبْرِ ما تَدَهْدَها[4]
وليتَ عينى لم تفارق رَقْدَها ... قُمْ نَبِّنِي يا (بنتئور)[5] مادَها

* * *

مصرُ الفتاةُ بلغَت أشدَّها ... وأثبتَ الدم الزكىُّ رُشْدَها
ولعبتْ على الجبال وَحْدَها ... وجرَّبتْ إرخاءَها وشَدَّها

* * *

يا ربِّ قَوِّ يدَها وشدَّها ... وافتحْ لها السُّبْلَ ولا تسدّها
وقِسْ لكل خطوة ما بعْدَها ... وعن صغيرات الأمور حُدَّها
واصرف إلى جد الشؤون جدَّها ... ولا تضع على الضحايا جهدها

---

(١) العد : الماء الجارى .
(٢) الهندى : السيف ، وهندها أى الهند .
(٣) البند : العلم .
(٤) تدهده : انقض .
(٥) بنتئور : شاعر مصرى قديم .

واكبحْ هوى الأنفس واكسر حقدها واجمعْ على الأمِّ الرؤوم وُلْدَها

وادى الملوك

وقال سنة ١٩٢٥ فى هذا المعنى يذكر توت عنخ آمون وحضارة عصره بعد أن اكتشفت كنوزه فى (وادى الملوك) :

درجتْ على (الكنز) القرونْ وأتت على الدَّنِّ[1] السنون
يا ابن الثواقب من (رعٍ) وابن الزواهر من (أمون[2])
نسبٌ عريق فى الضحى بذَّ القبائل والبطون
أرأيت كيف يؤوب من غَمْر القضاء المغرَقون
وتدول آثار القرو ن على رحى الزمن الطحون
حبُّ الخلود بنى لكم خُلُقاً به تتفردون
لم يأخذ المتقدمو ن به ولا المتأخرون
حتى تسابقتم إلى الإحسان فيما تعملون
لم تتركوه فى الجليل ولا الحقير من الشؤون
هذا القيامُ فقل لنا اليومُ الأخيرُ متى يكون ؟
البعث غاية زائلٍ فانٍ وأنتم خالدون
السبقُ من عاداتكم أترى القيامة تسبقون ؟
أنتم أساطين الحضا رة والبناة المحسنون
المتقنون وإنما يُجزَى الخلودَ المتقون

يتغنى بالنيل

نظم هذه القصيدة الرائعة يتغنى فيها بالنيل ، فصور الحياة للوادى وأهله ، وأبدع فى وصف روعته وجماله وجلاله ، ثم انتقل إلى قدماء المصريين ومفاخرهم ، وهى القصيدة التى تغنيها أم كلثوم فتزيدها بهاء وجمالا :

---

(١) الدن : باطية الخمر . (٢) رع وأمون من آلهة مصر القديمة .

من أىّ عهد فى القُرى تَتَدفّقُ ... وبأىّ كفّ فى المدائن تُغدِقُ
ومن السماء نزلتَ أم فُجّرتَ من ... عُلْيا الجِنان جداولاً تَتَرقرق
وبأىّ عينٍ أم بأيّة مُزْنَة ... أم أىّ طُوفان تَفيض وتَفْهَق
وبأىّ نَوْلٍ أنت ناسجُ بُردةٍ ... للضّفتين جديدُها لا يخلَق
تَسْودُّ ديباجاً إذا فارقتها ... فإذا حضرت اخْضَوْضر الإسْتَبرقُ[1]
أتت الدهورُ عليكَ مهدُك مترعٌ ... وحِياضك الشُرُق الشهيّة دُفّق[2]
تَسْقى وتُطعِمُ لا إناؤك ضائقٌ ... بالواردين ولا خِوانك يَنفَق[3]
والماء تسكبُه فيُسْبَك عسجداً ... والأرضُ تُغرقها فيحيا المُغْرَق
تُعيي منابعُك العقولَ ويستوى ... مُتَخبِّطٌ فى علمها ومحقِّق

إلى أن قال :

دينُ الأوائل فيك دينُ مروءةٍ ... لم لا يُؤَلّه من يَقُوتُ ويَرزُق
لو أن مخلوقاً يُؤَلّه لم تكن ... لسِواك مرتبةُ الألوهة تُخلَق
جعلوا الهوى لك والوقارَ عبادةً ... إن العبادةَ خَشْيةٌ وتعلُّق
دانوا ببحرٍ بالمكارم زاخرٍ ... عَذْبِ المشارع مَدُّه لا يُلْحق
متقيّدٍ بعهوده ووعوده ... يجرى على سَنَن الوفاء ويصدُق
يتقبّل الوادى الحياةَ كريمةً ... من راحتيك عميمةً تتدفّق

إلى أن قال يصف مهرجان وفاء النيل عند قدماء المصريين وكيف كانت «عروس النيل» تقدم قربانا له كل عام :

والمجدُ عند الغانياتِ رغيبةٌ ... يُبغى كما يُبغى الجمال ويُعْشق
إن زوّجوكَ بهنّ فهى عقيدة ... ومن العقائد مَا يَلبّ ويَحمَق[4]
ما أجملَ الإيمان لولا ضَلّةٌ ... فى كلّ دِينٍ بالهدايةِ تَلْصَق

---

(١) الديباج والإستبرق : ثوب الحرير .
(٢) الشرق : الغرق .
(٣) ينفق يفنى أو يقل .
(٤) يلب ، أى يصير لبيبا .

زُفّت إلى ملكِ المـــلوك يَحُفُّها دِينٌ ويَدْفعها هوىً وتَشَوُّق
ولربما حسدتْ عليـــك مكانَها تِرْبٌ تمسَّح بالعروس وتُحْدِق[1]
مجلوة فى الفلكِ يَحـــدو فُلْكَها بالشـــاطِئَيْن مُزغردٌ ومُصفِّق
فى مِهْرجَانِ هزّت الدنيـــا به أعطافَها واختَال فيـــه المشْرِق
فرعونُ تحتَ لوائِه وبنـــاتُه يَجْرى بهنّ على السفينِ الزورق
حتى إذا بلغتْ مواكبُها المَدَى وجرى لغايته القضـــاء الأَسْبَق
وكسا سماءَ المِهْرجانِ جـــــلالةً سيفُ المنيّةِ وهو صَلْتٌ يبرُق
وتَلفّتتْ فى اليَمِّ كلُّ سفينةٍ وانثال بالوادى الجموعُ وحدّقوا
ألقتْ إليـــكَ بنفسها ونفيسها وأتتكَ شـــيِّقةً حواها شـــيِّق
خلعتْ عليـــكَ حياءَها وحياتَها أأعزُّ من هذين شَيءٌ يُنفَق ؟
وإذا تَناهى الحبُّ واتفقَ الفِدَى فالروح فى بابِ الضحيّة أَلْيَقُ

إلى أن قال يذكر النيل وأنه مصدر الحياة والحضارة لمصر والوادى :

أصلُ الحضارةِ فى صعيدكَ ثابتٌ ونَباتُها حَسَنٌ عليـــك مُخلّق[2]
وُلِدتْ فـكنتَ المهدَ ثم ترعرعتْ فأَظلّها منـــكَ الحَفِيُّ المُشفِق
ملأتْ ديارَك حكمـــةً مأثورُها فى الصَّخر والبردِى الكـريم منبّق[3]
وبنت بيوتَ العلم باذخةَ الذُّرى يسعى لهن مغرِّبٌ ومشرِّق
واستحدثت دِيناً فـكان فضائلاً وبناءَ أخـــلاقٍ يطول ويَشْهَق[4]
مَهَّدَ السبيلَ لـكل دِينٍ بعده كالمسك ريّاه بأخرى تُفْتق
يدعو إلى برّ ويرفع صـــالحاً ويَعاف ما هو للمروءة مخلِق

وقال فى ختامها :

يا نيل أنت بطيب ما نعت (الهدى) وبِمدْحَةِ (التوراة) أحرى وأخلق

---

(١) الترب من ولد مع الإنسان . الجمع أتراب وأكثر ما تستعمل فى المؤنث . يقال هذه ترب فلان .
(٢) مخلق : متطيب .
(٣) منبق : مصطف .
(٤) يشهق من شهق الجبل ارتفع .

وإليك يُهدى الحمدَ خلقٌ حازهم كَنَفٌ على مر الدهورِ مُرهَّق[1]
وعليك تُجلى من مصونات النهى خُوَدٌ عرائس خدرهن المُهرَق[2]
الدرّ فى لَبّاتهـــــن منظّم والطيب فى حَبَراتهن مرقرق
لى فيكَ مدحٌ ليس فيــه تكلفٌ أملاه حبٌ ليس فيــه تَملق

وفى الحق انه لم يوصف النيل فى عظمته وجلاله وماضيه وحاضره وخلوده بأبدع مما وصفه شوقى فى هذه القصيدة .

نشيد النيل

ووضع نشيداً جميلا للنيل يتغنى به الشباب والمواطنون قال :

النيلُ العَذْبُ هو الكَوْثَرْ والجنّة شاطئُهُ الأخضر
زيّانُ الصفحة والمَنْظرْ ما أبهى الخلد وما أنضر

* * *

البحر الفيّاضُ القُدْسُ الساقى الناس وما غرسوا
وهو المِنوالُ لما لبسوا والمُنعِمُ بالقطن الأنورْ

* * *

جعلَ الإحسانَ له شَرْعا لم يُخْلِ الوادىَ مِنْ مَرْعَى
فترى زرعاً يَتْلو زرعاً وهُنا يُجْنَى وهنا يُبْذَر

* * *

جارٍ ويُرى ليس بجار لأناةٍ فيــــه ووقارِ
يَنْصَبُّ كَتَلٍّ مُنْهار ويَضِجُّ فتحسَبُهُ يَزْأرْ

* * *

---

(١) المرهق : كثير غشيان الناس والأضياف .
(٢) المهرق : الصحيفة .

حَبَشيُّ اللون كخيرته من منبعه ونخيرته
صَبَغَ الشّطّين بسُمْرته لونا كالمسك وكالعنبر

النشيد الوطنى

وفى سنة ١٩٢٠ وضع نشيداً وطنيا أقرته اللجنة التى ألفت فى هذا العام لترقية الأغانى الوطنية قال :

بنى مصرٍ مكانكمو تهيّا فهيّا مهّدوا للملك هيّا
خذوا شمس النهارِ له حليّا ألم تَكُ تاجَ أولكم مليّا

* * *

على الأخلاق خطُّوا الملك وابنوا فليس وراءها للعزّ ركنُ
أليس لكم بوادى النيل عدنٌ وكوثرها الذى يجرى شهيّا

* * *

لنا وطنٌ بأنفسنا نَقِيه وبالدنيا العريضة نفتديه
إذا ما سيلت الأرواحُ فيه بذلناها كأن لم نعطِ شيا

* * *

لنا الهرم الذى صحب الزمانا ومن حِدْثانه أخذ الأمانا
ونحن بنو السَّنا العالى نمانا أوائلُ عَلَّموا الأمم الرقيّا

* * *

تطاول عهدُهم عزًّا وفخرا فلما آل للتاريخ ذُخرا
نشأنا نشأة فى المجد أخرى جعلنا الحق مظهرها العليا

* * *

جعلنا مصر ملة ذى الجلال وألفنا الصليب مع الهلال
وأقبلنا كصفّ من عوال يشد السمهرىُّ السمهريا

* * *

نقوم على البنـاية محسنينا ونعهـد بالتمـام إلى بنينا
نموت فداكِ مصر كما حيينا ويبقى وجهك المَفدِيَّ حيًا

نشيد الـكشافة

نحن الـكشافة فى الوادى جبريلُ الروحُ لنا حادى
يا رَبِّ بِعيسَى والهـادى وبموسى خُذْ بيد الوَطَنِ

* * *

كشافةُ مصر وصِبْيتها ومَناَةُ الدار ومنيتهـا
وجَمالُ الأرض وحِليتها وطلائع أفراح المُدُن

* * *

نبتدر الخـير ونَسْتَبِقُ ما يَرْضَى الخالِقُ والخلْقُ
بالنفس وخالقهـا نثق ونزيد وثوقا فى المحن

* * *

فى السهل نرفّ رياحينا ونجوب الصخر شياطينا
نبنى الأبدان وتبنينـا والهمة فى الجسم المرن

* * *

ونخلى الخلق وما اعتقدوا ولوجـه الخالق نجتهـد
نأسو الجرحى أنّى وجدوا ونداوى من جَرحَ الزمنْ

* * *

فى الصدق نشأنا والـكرم والعفـةِ عن مَسّ الحُرَم
ورعاية طفـل أو هَرِم والذود عن الغيد الحصن

* * *

ونوافى الصارخ فى اللجج والنار الساطعـة الوهج

لا نسأله ثمنَ المهج وكفى بالواجب من ثمن

* * *

ربِّ فكثِّرنا عددا وابذل لأبوتنا المددا
هيىء لهم ولنا رشدا يا ربِّ وخذ بيد الوطن

نشيد الشباب

اليومَ نسود بأيدينا ونعيدُ محاسنَ ماضينا
ونشيدُ العزَّ بأيدينا وطنٌ نفديه ويَفْدِينا

* * *

وطنٌ بالحق نؤيِّد وبعين الله نُشَيِّدُه
ونُحَسِّنُه ونُزَيِّنُه بمآثرنا ومساعينا

* * *

سِرُّ التاريخ وعنصرُه وسريرُ الدهر ومِنْبَرُه
وجِنان الخلد وكَوْثَرُه وكفى الآباء رياحينا

* * *

نتخذ الشمس له تاجا وضحاها عَرْشا وهَّاجا
وسماء السُّؤدد أبراجا وكذلك كان أوالينا

* * *

العَصْرُ يراكم والأممُ والكونُ يلحَظُ والهممُ
ابنى الأوطان ألا هِمَمٌ كبناء الأول يَبْنِينا

* * *

سَعْياً أبدًا سعيا أبدا لأثيل المجد وللعَلْيا
ولنجعل مصر هى الدنيا ولنجعل مصر هى الدنيا

وظل شوقى يتغنى بالوطنية ويغرد للمواطنين والناطقين بالضاد جميعا ألحان الحرية ويسمعهم أسمى معانى الإنسانية حتى أدركته الوفاة سنة ١٩٣٢ ، وظل شعره بعد وفاته وسيظل على الدوام رمزاً للحكمة والحرية والخلود .